

فهرس العدد

● دراسات وابحاث :

- 2 مولود قاسم نايت بلقاسم (لشنا يقاسى التاريخ (حديث مع جريدة المجاهد)
الفتوحات الاسلامية الاولى واثارها الاقتصادية فى
11 الفرق الاسلامى والغرب المسيحى .
25 د. عمر موسى باشا دور الضم النضالى فى تحرير بيت المقدس .
40 د. حنفى بن عيسى مساهمة الفلسفة فى النهوض بالتربية
52 يحيى زكريا سن تشجيع الاختراعية والابتكار فى البلدان النامية .
61 د. عبد القادر حليمى ما وصل اليه العلم فى ميدان الائمة الشمسية .
68 د. سلمى الخضراء الجيوسى جامع قرطبة .
73 خرفى محمد الديسى ابو القاسم الحفناوى وكتابه : « تعريف الخلف
برجال السلف » .

● باب التفسير :

- 79 احمد حماني ان غير الحديث كتاب الله .
83 سليمان المدنى الفاتحة من امرار الله لا يعرفه الا مولاة .
87 احمد حماني الله : الرحمن الرحيم .

● فتاوى :

- 91 احمد حماني افطار المجاهدين فى رمضان .

● من محاضرات المتلقى :

- 95 د. عيد السلام الهراس الاسلام وكرامة الانسان .
105 الشاذلى النيفر من سالك اصلاح الفكر والاخلاق .
119 المهتدى محمد أسد مشكلة المسلمين اليوم .

لنسا يتسامى التاريخ ! (1)

- الامة الجزائرية انشأت وحدتها الحالية قبل قرون من الوحدة الالمانية ، والفرنسية بالنسبة لبعض مقاطعات هذه الاخيرية .
- الالفاظ ، والتسميات ليست ذات قيمة شكلية فحسب ، وانما تدل على مبادئ ، ومفاهيم ووقائع .

حديث للسيد

مولود قاسم نايت بلقاسم
الوزير لدى رئاسة الجمهورية
المكلف بالشؤون الدينية

على اثر انعقاد حلقة دراسية حول « المصادر المعاصرة لتاريخ الجزائر » بمقر المركز الوطنى للدراسات التاريخية يومى 3 و 4 مارس 1978 ، تفضل السيد مولود قاسم نايت بلقاسم ، الوزير لدى رئاسة الجمهورية ، المكلف بالشؤون الدينية ، والذي تولى افتتاح الدورة فادلى لنا - بطلب منا - بالحديث القالى :



سؤال : سيدى الوزير ، لقد توليتم مؤخرا رئاسة الحلقة الدراسية التى نظمها المركز الوطنى للدراسات التاريخية والمديرية الوطنية للوثائق حول البحث التاريخى ، فهل لكم - وقد اختتمت اشغال هذه الحلقة - ان تبينوا لنا لماذا كانت الوثيقة والوثائق المحفوظة من الاهمية بمكان للمؤرخ الجزائرى الذى يحده فى اعماله حرص شديد على كتابة تاريخ وطنى حقيقى ؟

(1) ترجمة حديث نشرته جريدة المجاهد اليومية بتاريخ 13 مارس 1978 .

(2) اللغة الفصيحة الحديثة ، ولكنها لا توجد الا في الفرق ، وبالتالي فهي غير معروفة في الجزائر .
(3) اللغة الدارجة ، وهي غير صالحة لتكون لغة رسمية ، ولا أداة للتعبير عن المعارف الحديثة .

توصي المجالس العامة للولاية العامة بمدم تعليم اللغة العربية أصلا ، بينما يمكن المرم أن يشر على هذا التصريح في أية صحيفة من صحف ذلك العهد . وهنا تتجلى أهمية هذا النوع من الوثائق وغيرها من المستندات الأخرى الكثيرة . والواقع أن كل ما له دلالة ما بالنسبة الى الماضي البعيد أو القريب يمكن تسميته بالأرشيف سواء كان موجودا داخل التراب الوطني أم خارجه .

سؤال : ويصدد هذه الوثائق الجزائرية بالذات ، أو التي لها صلة بتاريخ شعبنا ، والتي تتوزعها مكتبات عبر كثير من البلدان الأجنبية ، هل لكم أن تحدثونا عما اذا كانت هناك مبادرات جدية قد اتخذت لاسترجاعها أو لاستغلالها في عين المكان ؟

جواب : في هذا الباب بالذات ، وهو أبعد ما يكون عن أن يوجد ، لم نسترجع من وثائقنا الموجودة خارج البلاد ، رغم المساعي المتكررة ، الا جزءا ضئيلا مما له دلالة سياسية ، أو دبلوماسية ، أو تاريخية غير ذات شأن كبير .

اما مراسلات الدولة الجزائرية مع مجموع العالم ، والنسخ الاصلية للمعاهدات التي أبرمتها ابتداء من سنة 1534 حتى سنة 1847 مع البلدان الأخرى ، من فرنسا الى الولايات المتحدة ، فلم نسترجعها بعد ، وما تزال مخزونة في كهوف مكتبات باريس ، وايكس انبروفانس Aix-en-Provence ، وأماكن أخرى غيرهما . وقد نقلت الادارة الاستعمارية هذه الوثائق في أيام جويلية المضمومة من سنة 1962 .

وثمة رصيد آخر ذو أهمية قصوى قد شرعت الجزائر منذ بضعة سنوات في استغلاله . ويمثل هذا الرصيد في وثائقنا الموجودة بمدينة اسطنبول . وقد نتجت هذه الفجوة بصورة أساسية عن افتقارنا الى مؤرخين يحسنون اللغة التركية ، على أن الكلام التركي لذلك العهد ، ويدعى « العثماني » ، كان نصفه على الأقل يتكون من كلمات عربية .

ويمكن القول ، فيما يتعلق بتاريخ الجزائر الذي له صلة بهذه الوثائق العثمانية ، إنه ، علاوة على مبادرتين خصوصيتين ، أحدهما هي التي قام بها الأستاذ عبد القادر محداد ، الذي تعلم أنه يجري أبحاثا منذ بضعة سنوات (ما تزال غير مطبوعة) ، والثانية هي التي قام بها الدكتور عبد الجليل التميمي ، الذي نشر أو ترجم ، استنادا الى منشورات تركية ، بعض وثائق بالغة الأهمية (يمكن أن نذكر منها الكتابين

[illegible]

غارة شارل الخامس (شارلكان) على الجزائر سنة 1541 ، والتي كان هذا
الآخر قد غنمها بدوره من جيوش فرانسوى الاول ملك فرنسا فى معركة باغيا Pavie
التي اخذ فيها هذا الاخير اسيرا ، يوم 25 فبراير 1552 . وكذلك المدافع الثلاثة المصنوعة
فى تلمسان سنة 1833 والتي اخذها بيجو من الامير عبد القادر . وربما كانت هذه
الاخيرة ما تزال موجودة فى الانقليد Les Invalides فى باريس .

سؤال : سيدى الوزير ، اذا كان استرداد المستندات التاريخية يعد عملية
اساسية ، فان استغلالها لاجراض كتابة التاريخ كتابة امينة قدر الامكان يظل - كما
يبدو لنا - هو الهدف الرئيسى .

جواب : اجل ، ان عملية الاسترداد ليست غاية لذاتها . لان هذه الاشياء التي ذكرناها
وغيرها وان كانت ذات أهمية تاريخية بالغة الا انها تبقى أولا من نوع قطع المتاحف، بينما
الوثائق والمستندات المكتوبة هي من النوع الآخر الذي يتطلب أن يستغل الى اقصى حد، وأن
يدرس دراسة منهجية ، دقيقة ومنظمة ، وأن تكون تلك الدراسة ، على الخصوص ،
بروحنا وعقلنا معا ، وبرغبة قوية فى تصحيح الوقائع ، وتسجيل نقاط الضعف فى
تاريخنا ، لكن مع القيام كذلك بإبراز الامجاد وعهود العز ، ذلك لان الاستعمار قد
بالغ فى تزوير الوقائع والاحداث التاريخية قاصداً بذلك الى تعقيدنا ، اي جعلنا نشعر
بعقد النقص ، وإلى اظهارنا بمظهر يتامى التاريخ ، دون ماض ، أو وجود كدولة
وكامة ، كانت لها مساهمتها فى الحضارة الانسانية .

لذلك ، كان لابد من الاسراع فى استكمال عملية استرجاع كل هذه الآثار الدالة
على ماضينا ، سواء المكتوبة منها أو المادية ، وإبراز هذه الموسوعة التاريخية للجزائر
تدرجيا ونظام وترتيب ، نسير فيها خطوة خطوة ، لكن بوتيرة فيها شيء من السرعة
وتجمع بين الكيف والكم .

سؤال : لقد أثرتم فى الكلمة التي القيتوها فى جلسة افتتاح الحلقة الدراسية
حول الوثائق والتاريخ قضية تبدو لنا - لاهميتها - جدية بأن تحظى بمزيد من
التفاصيل ، الا وهي استعمال رجل الشارع والمؤرخ نفسه ، لاسلف الشديدي ،
مصطلحات مغلوطه ، فماذا فى الامر بالضبط ؟

جواب : وهنا أيضا يتعين العمل بسرعة على اجراء مراجعة شاملة لبعض
المصطلحات التي تبنّاها الكثير منا حتى الآن ، وخاصة فيما يتعلق بالتاريخ الحديث ،
اي التاريخ الذي يتناول الحقبة الممتدة من العصر الموسوم . بالمعهد التركى (والذي بدأ

الامبراطورية العثمانية، إذ لم تكن كذلك ، مما كانت لتحتل مكانها على مائدة المفاوضات - بل باعتبارها طرفا ثالثا مستقلا ودولة تتمتع بالسيادة الكاملة على قدم المساواة مع امبراطوريتين من اكبر امبراطوريات ذلك العصر . وبعد سنة واحدة نزل سفير فرنسا الاول جان لافوري Jean Laforet بالجزائر العاصمة ، ولم يتوجه الى القسطنطينية الا بعد ذلك . وعلى هذا ، فلو كانت الجزائر مجرد « ايالة » أو « مقاطعة » عثمانية لكان جان لافوري Jean Laforet قد بدأ بالقسطنطينية ، ولما كان ليقدّم الى الجزائر « مقاطعتها » ! الا بعد ذلك ، كما هو العرف الدولي في الديبلوماسية بالامس واليوم .

وبعد هذه المعاهدة ، وقعت الدولة الجزائرية مع فرنسا فيما بين 1534 و 1847 (الوثيقة المشروعة بين عبد القادر ودوق دوماي Duc d'Aumale) 64 اتفاقية ومعاهدة واتفاقية ، من بينها الوثيقة التي اعترفت بموجبها الدولة الجزائرية بأول حكومة منتخبة عن الثورة الفرنسية في 20 مارس 1793 ، والوثيقة التي منح داي الجزائر حسن بمقتضاها فرنسا قرضا ماليا قدر مبلغه (رأس المال والفوائد) المؤرخ الالماني جوزي سيميونوف Juri Semionov في كتابه « ازدهار وانهيار الامبراطورية الاستعمارية الفرنسية » كما قدره مؤرخا المكاتب الفرنسي « ا - ديفور A. Dufour في عدد افريل 1975 من مجلة « فرنسا والبلدان العربية » باريعين (40) مليار فرنك قديم » (1)

وبالنظر الى هذه الوقائع كلها ، لا يسعنا الا ان نستنتج بان التاريخ قد زور بفعل منا وبفعل من غيرنا حين نتحدث عن الجزائر باعتبارها دولة تركية تحت الحكم التركي . ومن ثم تتجلى أهمية هذه المصطلحات ، ذلك لان الالفاظ والتسميات ليست ذات قيمة شكلية لمسب ، وانما تدل على مبادئ ، ومفاهيم ، ووقائع . وليس من غافلة القول ان نذكر بعض الامثلة للتفنيد بهذه الاخطاء :

من ذلك ان البرنامج الدراسي الاول الذي سطر للتعليم الثانوي في سنة 1962/1963 ، اي سطر منا وبايدينا ، كان يتضمن ، لتمييز وتحديد اهم عصور التاريخ الجزائري ، هذه العناوين الآتية :

- 1) العصر الروماني
- 2) الفزو العربي
- 3) السيطرة التركية
- 4) وصول الفرنسيين

(1) ولم يسدد منه حتى اليوم فرنك واحد !

هذا تفسير ما ألحمت عليه اثناء الحلقة الدراسية من ضرورة جمع الوثائق والمستندات من أجل كتابة تاريخنا من جديد بمقلنا بطريقة منهجية ، ومنظمة ، حقا ، بتلك « النزاهة العلمية » التي نسمع عنها كثيرا ويمدحونها لنا في كل مكان ... ولكن فيما يخص تاريخنا بالذات ، ذلك التاريخ الذي طالما كان موضوع تزوير ، بل وإنكار ونزاع أيضا ، من قبل البعض ، لابد أن نزيد بعدا آخر ، الى العقل ، والمنهجية ، والنزاهة العلمية ، الا وهو الروح ! فعلينا أن نكتب تاريخنا بفكر علمي ، حقا ، ولكن أيضا بروحنا ، تماما كما تفعل جميع الامم !

وأختم حديثي هذا بكلمة اقتبسها من رجل ليس بالحالم المتهوس ، ولا بالمهرج المتحمس ، انه الفيلسوف الالماني الشهير فيخته ، الذي قال في مطلع القرن الماضي ، وهو يوصي الالمان بكتابة أو إعادة كتابة تاريخهم ، ما يلي :

« وفي هذا السياق الخاص (سياق استمرارية الامة) يتحتم علينا أن نكتب تاريخ أممتنا ، وأن نجعله تاريخا يلهب ويبعث فينا الحماس ، تاريخا يدفع بنا الى الامام ، تاريخا يكون لنا بمثابة الانجيل ، ويقرأ بنفس الحب ، والتقديس ، والاحلال ! ذلك تشريفا لارواح اجدادنا ، وخضا لانفسنا على التماسي بهم ، لنكون جديرين بالانتساب اليهم ، ولكي نترك شيئا للأجيال المقبلة ، ونخلد شخصيتنا وإثقتنا » (5) .

(5) غوتليب فيخته : « نداء الى الامة الالمانية » .

العالم في تلك الفترة ، كانت كلها تقع في الشرق الاوسط الاسلامي . واما الغرب المسيحي ، فانه لم يكن يمثل الا فراغا ، حيث كان النشاط الاقتصادي والثقافي قد انحسر عنه منذ الانحطاط والتهور الذي أصاب الامبراطورية الرومانية و غـزـو البرابـر (2) لارضه .

ولكن فهم اقتصاد العالم الاسلامي بعد ما بلغ اوج نشاطه ، يتطلب نظرة الى الوراء ، وخصوصا ، الى عهد الفتوحات الاسلامية الاولى (التي تمتد فترتها بين منتصف القرن السابع ومنتصف القرن الثامن الميلادي) . فان هذه هي الفترة التي تشكلت فيها معالم العالم الاسلامي الاساسية .

عهد الفتوحات :

قام بالفتوحات الاسلامية الاولى عرب الجزيرة من البدو الرحل وغيرهم ، فكانت هذه هي القوة العسكرية الاولى للاسلام بقيادة قريش مكة الذين هم من الحضـر ، يمارسون التجارة ويجهزون القوافل . وفيما عدا الصحراء ومناطق الرعي في شبه الجزيرة العربية ، اتجه الفتح العربي منذ البداية الى بلاد الهلال الخصيب ، بلاد ما بين النهرين وسوريا ومصر .

ولكنه الى جانب هذا العنصر العربي « الاصلى » ، فتح جيش الاسلام صفوفه للمجندين من ابناء البلاد المفتوحة . وهذه العناصر المحلية ستوسع نطاق حركة الفتح الاصلية . وكذلك اتجه الايرانيون الى فتح اسيا الوسطى ، بينما اتجهت العناصر السورية المصرية الى فتح افريقيا الشمالية ، ليقوم البربر بدورهم « في مرحلة تالية » بفتح الاندلس وجزيرة صقلية .

وهؤلاء الفاتحون العرب ، أو غير العرب ، سوف لا يشكلون الا اقلية في البلدان التي اخضعوها . وقد كان دورهم التاريخي هو تكوين منطقة دينية سياسية واسعة وتوحيد بلاد شعوب مختلفة في مملكة كبيرة لينصهروا بعد ذلك في الشعوب القديمة

(2) تطلق كلمة « البرابرة » في هذا الكتاب على المعاصيات المسلحة (القوط والوندال والبورجند والسويف والافار الخ .) التي قامت بغزو الامبراطورية الرومانية خلال الفترة التي تمتد بين القرن الثالث والقرن السادس الميلادي ، واسقطوا اباطرة الغرب وشكلوا دويلات هنا وهناك ، وبذلك تميز هؤلاء الاقوام عن البربر ، سكان افريقية الشمالية ، وذلك على الرغم من ان هذه التفرقة لا يوجد ما يبررها من حيث الاشتقاق - المترجم .

الشعوب القديمة : الايرانيين والساميين والمصريين والبربر والانديسيين * وهذه ايضا هي الحالة في المرحلة الثانية « من الفتح » * وقد لاحظ المؤرخون خصوصا ضآلة القوات التي ساهمت بها سوريا وضعف العنصر البربري بين سكان الاندلس ، في القرن العاشر الميلادي (3) *

كيف تعمل تلك السهولة والسرعة التي تمت بها الفتوحات الاسلامية الاولى على يد عدد صغير من الفاتحين ؟

لقد كانت لدى العرب جميع الفرص التي تتيح لهم حسن استقبال الشعوب القديمة السامية والسورية والمصرية وبلاد ما بين النهرين * فالى جانب العلاقات الاثنوغرافية واللغوية التي تربطها بالعرب ، كانت هذه الشعوب قد خضعت عهودا طويلة لحكم روما ثم لحكم بيزنطة في الغرب ولامبراطورية الساسانيين الفرس في الشرق * وكذلك كانت هذه الشعوب في حالة ثورة دائمة ضد ادارة القسطنطينية واكتزيغون (4) * وكانت ثورتهم ، كما هي حالة الثورات في الشرق دائما ، ذات طابع ديني في الظاهر ولكنها ثورات اجتماعية في الصميم * وقد اهتز عرش بيزنطة بالبدع ومخالفة المألوف ونظرية التسلط والمذهب الذي لا يعرف الا بطبيعة واحدة للمستتبح ، وهي كلها نظريات تتعارض مع المذهب الرسمي الذي تدين به الكنيسة الشرقية * وفي مملكة الساسانيين ، كانت المانوية والديانة اليهودية والمسيحية وغيرها من المذاهب تنتشر ، معارضة للمازائية ، الديانة الرسمية *

وفي مقابل كل ذلك ، نجد ان اتجاه الرسالة الاسلامية نحو الديمقراطية والمساواة ، وابتعادها عن النظرة الوطنية الضيقة ، كان يستجيب للحركات الثورية الاجتماعية والدينية في البلاد المفتوحة * وهذا الاعتبار ، هو الذي سهل ، على الاقل جزئيا ، الفتوحات الاسلامية : ومن جهة اخرى ، فان الرغبة في استتباب الامن واستقرار السلام تدفع بسكان المدن الى الانضواء تحت لواء الفاتحين الذين ينتظرون منهم :لحماية من الغرضى وعبث البدو * والمقاومة المتصلبة الوحيدة التي واجهها الفتح الاسلامي في نهاية الامر ، هي تلك التي ابداهها البربر ، الذين قاوموا قرطاجنة وروما * العرب ، وقاوموا الترك بعدهم * وكذلك ظل البربر تحت الحكم الاسلامي ، في حالة مقاومة صريحة او مكتوبة *

(3) راجع : Lévi-Provençal, l'Espagne musulmane au X^e siècle - Institution et vie sociale, Paris, 1932, pp. 8 et suiv.

(4) Ctésiphon مدينة آشورية تقع على دجلة وكانت مقرا في الشتاء ملوك البرث Parthes ثم الملوك الساسانيين من بعدهم « المترجم » *

أو الموالى ، كما كانوا يسمون دورا حاسما فى اقامة دعائم هذه الحضارة التركيبية ، الحضارة الاسلامية . وحتى الموضوعات اللغوية ، مثل تنظيم قواعد النحو « العربى » وبعض المسائل التى تتصل بتثبيت نص القرآن بصفة نهائية ، ستكون مجالاً لتدخل غير العرب من أبناء الشعوب الشرقية القديمة الذين كانوا يتمتعون بتدريب تقنى ذهنى فائق .

وهكذا كان الشرق الاسلامى ، أى اراضى الساسانيين قديما « العراق وايران » وارضى بيزنطية « سوريا ومصر » ، بمثابة بوتقة لصهير مختلف عناصر حضارة تركيبيية ستتنتشر فيما بعد فى جميع انحاء العالم الاسلامى ، شرقا نحو اسيا الوسطى ، وغربا نحو افريقيا « تونس وشرق الجزائر » والمغرب الاقصى واسبانيا وصقلية . ومن هذا الامتداد الحضارى ، نشأت فى القسم الشرقى فى ممتلكات الساسانيين والبيزنطيين القديمة حركة استمرار تميزت واصبحت قاعدة انطلاق ، وفى القسم الغربى قامت نهضة وتجديد حقيقى .

وعلى عكس نظرية بيرين المشهورة (5) ، فنحن نعتقد أن الغرب انما تمكن من الاتصال بالحضارات الشرقية ، وعن طريقها بالحركات التجارية والثقافية العالية ، بفضل الفتوحات الاسلامية . فبينما نلاحظ ان الغزوات الكبرى التى قام بها البرابرة فى القرنين الرابع والخامس الميلادى ، قد نجم عنها تدهور اقتصادى فى الغرب الميروفانجى ثم الكرولانجى « نسبة الى شلمان » ، نجد ان قيام الامبراطورية الاسلامية قد كان من نتائجها نمو مدعش لهذا الغرب المسيحى نفسه . فاذا كان الغزو الجرمانى قد اسرع بتدهور الغرب ، فان الفتوحات الاسلامية قد تسببت فى انبعاث حضارته . وبالاختصار ، فان المشكلة التى قامت فى الغرب بشأن غزو البرابرة وبشأن الاستمرار أو التدهور ، يجب حسمها ، فى حائلة الفتوحات العربية فى جميع انحاء المملكة الاسلامية ، بالتاكيد بعدم وجود انقطاع ، بل ، زيادة على ذلك ، فان هذه الفتوحات كانت نقطة انطلاق عظيم فى طريق النمو والتقدم والازدهار .

اللتشاش الاسلام واللغة العربية والعنصر السامى :

يجب ان نطرح ثلاثة مشاكل ، كلا على انفراد وبوضوح ، وهى : نشر الاسلام ، وتعريب البلدان المفتوحة وتأثير العنصر السامى فيها .

(5) راجع : H. Perenne : Mohamed et Charlemagne, 4^e éd. - Paris, Bruxelles 1937. والمقالات المجمة التى نشرها P. E. HUBINGER تحت عنوان :

Bedeutung und Rolle des Islam beim Uebergang vom Altertum zum Mittelalter (Wege der Forschung, 202) Darmstadt, 1968.

وأما تأثير العنصر السامى ، فهو شيء آخر • انه عبارة عن حضارة مدن الشرق القديمة ، وهي تتركب من عناصر فارسية وهلينية ، انتشرت خارج الاراضى السامية بواسطة عدد من الطرق والوسائل • فقد انتشرت هذه الحضارة فى المكان الاول عن طريق اللغة العربية التى هي لغة القرآن ، ولغة الحكومة ، ولغة المكاتب ولغة التبادل التجارى بين البلدان المتباعدة ، ولغة الحضارة الادبية والعلمية • فان تفكير اليونان والارانيين والهنود والصينيين انما وصل اليها معظمه عن طريق الترجمة باللغة العربية ، اي بواسطة اداة سامية • وكذلك سلك التأثير السامى للطرق التجارية التى استخدمها المشارقة ، وهجرة جماعات صغيرة وتكوين مجتمعات دينية فى نقاط استراتيجية فى التجارة العالمية . وهذه الجماعة من الرواد متقوى وتتميز بفضل مهاجرين جدد • وفى نفس الوقت اتسع نشاط هذه الجماعات التى كثر عددها وراحت تستكشف مناطق جديدة وتقيم المزيد من المراكز بينما تحتفظ بمؤخرة مواقعها لتتراجع اليها مند الحاجة ، وبوشائج تنقطع احيانا بسبب الخلافات وتقوى احيانا اخرى وتشد باعادة التكتل والتجمع • وكذلك تولدت الجماعات اليهودية التى تكتب باللغة العبرية او الارامية وتتحدث باللغة العربية ، والجماعات النسطورية التى تكتب باللغة العربية ، والجماعات النسطورية التى تكتب اللغة السريانية وتتحدث باللغة العربية •

ونلاحظ اخيرا ان العمليات الثلاث التى حللناها باختصار : انتشار الاسلام واللغة العربية والتأثير السامى • عن طريق الحضارة • ، كانت المدن مسرحها فى بداية الامر • فان مناخ المدن كان ملائما لها نتيجة لنسوع من الانسجام الذى كان موجودا من قبل ومن المدن ، امتدت هذه العمليات الى البيئة الزيفية • ونحن نعرف ان العالم الاسلامى كان خلال الفترة بين القرن الثامن والقرن الحادى عشر ، مركزا لحركة عظيمة لعمران المدن • والمناطق التى قوى فيها عمران المدن ، كانت هي المناطق الاولى التى تتأثر اكثر من غيرها بهذه العمليات • واما المناطق الاخرى ، فستقبل وقتا طويلا تعيش على هامش هذه الحركة • بل ان بعض المناطق ستغلق الى الابد من هذا التأثير • وكذلك نرى معارضة تقوم فى • عيا الشمالية بين المدن الواقعة تحت التأثير العربى والتأثير الشرقى ، وبين جبال البربر التى لا يكاد التأثير الاسلامى يمس فى سكانها الا قشرة سطحية •

خضاء الفتوحات : العالم الاسلامى :

يشمل الامتداد الجغرافى للفتوحات الاسلامية بين آسيا الوسطى واسبانيا - فى داخل هذه الحدود او فى المناطق الخاضعة لنفوذه - الاراضى التى تقع فى قلب

المواصلات ، يتطلب توفير حيوانات النقل الضرورية « الجمال والخيول والجمال والحمر » وموظفين وعمالا ومرشدين اكفاء وتجارا ومجهزين للقوافل يمدونها بالزاد والعتاد . وقد كان سكان المشرق الذين يطلق عليهم اسم « السوريين » أو « المشارقة » والذين كانوا يسكنون بزمام التجارة العالمية ، خير خلف للفتيحين في هذا المجال .

ومن جهة أخرى ، فقد كان رصيد الذهب الآتي من قصور الساسانيين ومن الكنائس البيزنطية ، موردا يعزز قوة العالم الاسلامي الاقتصادية ، تلك القوة التي تقوم خصوصا على الدور الذي كان العالم الاسلامي يلعبه بوصفه محتكرا لتجارة المرور « القرانزيت » ، بين الشرق الاقصى والمحيط الهندي والغرب من جهة ، وأفريقيا الوسطى والبحر الابيض المتوسط ، من جهة أخرى .

وكذلك كان الاسلام يحتل موقعا حيويا عند مفترق الطرق التجارية الكبرى في ذلك العصر ، ولم يكن يفلت من سيطرته سوى طريق تجارية واحدة : تلك الطريق التي كانت تربط الشرق الاقصى ومغوليا وآسيا الوسطى ، متجهة الى السهول المجرية . وهذه التي تمتد في شمال الحضارات الآسيوية القديمة والبحر الابيض المتوسط ، طريق ثانوية عرضية . وكذلك كان يفلت من سيطرة العالم الاسلامي مركز تجاري واحد ، وهو بيزنطة .

وهكذا تتضح لنا قيمة موقع العالم الاسلامي في قلب العالم القديم . فالاسلام ليس بحضارة هيبت الى الارض من كوكب آخر فجأة وبدون مقدمات . ولكنه يتصل اتصالا وثيقا بالبيئة والمناخ التاريخي الذي يحيط بهذه الرقعة الجغرافية التي انتشرت فيها .

وفيما يتعلق بالمناطق التي يقطنها السود ، من شواطئ افريقيا الغربية حتى شواطئ افريقيا الشرقية ، فقد كان مجيء الاسلام اليها حدثا تاريخيا عظيما ويشكل اساسا لتاريخ افريقيا الحديثة .

ومن جهة المحيط الهندي ، سينتشر الاسلام في تلك الاصقاع حتى يشمل اندونيسيا . وفي آسيا الوسطى ، سيتعرض العالم التركي والصين معا ، لنفس التأثير . فان الفتوحات الاسلامية الاولى ، سيكون من نتائجها اعتناق الترك للمدين الاسلامي . ومؤلا للترك سيقومون بدورهم ينشر الاسلام في الصين .

وأخيرا ، فقد سلك الاسلام ، من جهة بيزنطة والغرب المسيحي ، الطرق المؤدية من البحر الابيض المتوسط الى أوروبا الوسطى وحتى البلاد الواقعة على بحر البلطيق

وهذه الحقيقة الاخيرة جوهرية • فان قيام شبكة جديدة من المدن وانتعاش مدن قديمة ، سيمد العالم الاسلامى الجديد بأطار اقتصادى واجتماعى وثقافى • وكذلك ارتبطت كل مدينة باخرى بشبكة من العلاقات التى كانت مهمة ، لان المدن كانت نقط الارتكاز والمراكز المحركة للحياة الاقتصادية فى العالم الاسلامى • ونحن نلاحظ ان سيطرة المدن وتفوقها كان من الامور الرئيسية الثابتة خلال الفترة التى ندرسها ، أي بين القرن الثامن والقرن الحادى عشر الميلادى • فمن سمرقند الى قرطبة ، كانت الحضارة الاسلامية ترتكز على المدن التى يتردد عليها الرجال وتستقبل السلع والافكار الآتية من كل صوب • وهذه الحضارة الموحدة ، حضارة تركيبيه تقوم على أساس حضارات اقليمية ريفية أو بدوية قديمة •

وكذلك نتصور العالم الاسلامى ، وكأنه سلسلة من الجزر ، التى هي المدن ، ترتبط فيما بينها بالطرق التجارية •

وهذا التنظيم الذى يقوم على أساس أهمية المدن ، سيتعرض لضربات قاضية نتيجة للأزمات والاضطرابات والغزوات التى وقعت فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر • فان هذه الاحداث سيكون من نتائجها قطع التيارات الكبرى للتبادل التجارى ، وبالتالي خنق المدن وتدهورها •

وفى المرحلة التاريخية التالية ، سيفقد العالم الاسلامى وحدته ويعانى من نتائج انقسامه • وسيكتسى الاسلام طابعا وطنيا فيكون هناك اسلام تركى واسلام فارسى واسلام سورى واسلام مصرى واسلام مغربى • وبذلك نشاهد انقطاعا فى الحضارة الاسلامية وظهور العناصر المميزة للقاليم التى تتركب منها الحضارة بوضوح •

بأقى الرقعة من الارض، ومستيطرة على الورق من الكتاب . الاسباب والآثار المعنوية لتلك الاحداث . الآثار المادية : الاطلال . . . الباقية . التدابير المتخذة أو المنوى اتخاذها لابرار تلك الآثار والحفاظ عليهما) .

(2) الدين والعلم (الكتب المنزلة - وخاصة منها القرآن - والعلم . مدى صحة ما يقال اليوم من أطراف مختلفة : الجاهل المشعوذ ، والدجال السياسى الذى يلعب بعقول الجماهير ويستغل الدين - أي دين كان - سياسيا ، واقتصاديا ، واجتماعيا ، والمحدد عن اعتقاد ، أو تعقد ، أو جهل ، الذى يزعم أن الدين ينفى العلم ولم يعد يقبله العصر ... الى حد أن كثيرا من انصار المتعلمين يتباهون بمصاداة الدين حتى يقال فيهم انهم ... هل الدين دليل خير أم مخدر للفرد والمجتمع ؟ أم لا هذا ولا ذلك ؟ لماذا إذن ؟) .

(3) الى م تيسر فى العالم الاسرة : الى اليسرى أم العسرى ؟ (تيسر : تهيبا ، تعد ، توجه ، يقصد بها ، يذهب بها الى ... والمراد : ما المصير الذى يهيب ويراد للأسرة اليوم ... على ضوء ما نرى ، ونسمع ، ونقرأ ... هنا وهناك .. فى العالم بأسره ؟ هل هي نظام يجب الغاؤه فى أسرع الأجال ؟ أم يكفى تركه ليموت ... موته الآجل أو العاجل ، بإهماله على حاله ، ينخر السوس فى عظامه ؟ أم بالدفع به قصدا الى الموت بمختلف الوسائل والطرق ؟ أم يجب بذل جميع الجهود للحفاظ على هذا النظام ، بل وتمزيقه وتوطيد أركانه ؟ وكيف ذلك ؟) .

(4) نظرية جامعة على الجامعة (نشأة النظام الجامعى فى العالم وتطوره : مولد الجامعة فى تاريخ البشرية كنواة للنظام الجامعى بالمعنى المصرى ، دور الحضارة الاسلامية فى هذه النشأة وفى تطورها : تطور النظام على مر العصور . معنى وجدوى - أو عبث ومضار - الاصلاحات المتتالية ، وخاصة منها الجارية على هذا النظام فى العالم اليوم . آثارها على الشباب والمجتمع) .

(5) ماضى ومضى هي الجزائر ، لا طفل أو طيف زائر ! (العلاقات بين الجزائر وبقية العالم قبل 1962 فى القديم والحديث ، وخاصة منذ بدء العصر الحديث : مع روما ، وقرطاجنة ، مع بلدان المغرب الأخرى ، والاندلس ، مع بقية البلاد الاسلامية ، مع الخلافة العثمانية ، مع إفريقيا ، مع فرنسا ، واسبانيا ، وأوروبا بأكملها ، ومع الولايات المتحدة الأمريكية منذ نشأتها ، ومع آسيا وباقى العالم ، فى مختلف المجالات . الاستمرارية فى تاريخها وشخصيتها رغم الداء والاعدام) .

ولم يتم القضاء على هذا الاحتلال الا بقيام ثلاث قوى كبيرة ، تمثلت فى الاتابكة الزنكيين والسلطين الايوبيين والمماليك .

يرجع الفضل الاول للزنكيين ، لانهم ادركوا نذير الخطر الذى يتهدد البلاد ، فبدأوا معركة التحرير ، وجاء الايوبيون بعدهم ؛ فاتهموا خطية سابقيهم وحرروا بيت المقدس ومعظم الثغور الفلسطينية ، ولم يتم التحرير النهائى الا على يد سلاطين المماليك ، اذ استطاع الاشرف خليل طرد الروم والفرنجة نهائيا بعد فتح عكا سنة (690 هـ - 1291 م) ، وقد مدحه شاعره الشهاب محمود بقصيدة مطلعها :

الله اكبر نلت دولة الصليب وعز بالترك دين المصطفى العربى

كما ألف أحمد بن على الحريرى كتابا أرخ فيه هذا الحدث الهام ، وعنوانه : (الاعلام والتبيين فى خردج الفرنج الملاعين) .

وسوف اقتصر على تصوير ملحمة حطين ، وتحرير بيت المقدس وفلسطين من خلال الشعر العربى ، وذلك لتوضيح دوره وبيان أهميته فى معركة المقاومة والتحرير .

الاستشارة والتحريض :

تولى الشعراء مهمة التحريض على جهاد الفرنجة واستئثاره هم الملوك وعزائهم وذلك لشحن حرب التحرير وانقاذ بيت المقدس من سلطان احتلالهم .

بدأت الدعوة التحريرية بأكثر من نصف من الزمن ، ولعل أول اشارة كانت فى احدى مذائح ابن منير الطرابلسى فى عماد الدين زكى :

وغدا يلقي على القدس لها لكل يدرسها درس السدين

همة تمسى وتضعى عزمة ليس حصن - أن تحطه - بعصين

كان كل فتح من الفتح الاسلامية مناسبة يهتلبها الشعراء لتذكير المسلمين بمتابعة الجهاد المقدس ، فلما تم فتح الرها انشد ابن القيرانى قصيدة يمدح وزيره جمال الدين ، ومما قاله :

اما أن يزهد الباطل وأن ينجز العدة الماطل

فان يك فتح الرها لجة فساهاها القدس والساها

فهل علمت علم تلك الديار بأن المقيم بها راحل

ولما توحدت مصر والشام في عهد نور الدين بعد القضاء على الفاطميين وقطع صلاح الدين الخطبة لهم ، بعث العماد الكاتب اليه قصيدة يهنئه بذلك ، ومما قاله :
 وطهر القدس من رجس الصليب وثب على البغاة وثوب الاجدل القطم
 فملك مصر وملك الشام قد نظما في عقد عز من الاسلام منتظم
 وانتقلت دموع الاستثارة والتحريض الى صلاح الدين حين تفرد بالسلطان بعد
 موت نور الدين ، وتابع الشعراء دهوتهم واستنفارهم في تهينة سبل التحرير والجهاد
 والمقاومة حتى كانت ملحمة حطين ، واغتنح بعدها بيت المقدس *
 ملحمة حطين الخالدة :

لا شك ان معركة حطين الخالدة كانت الملحمة الخالدة في التاريخ الاسلامي ، وقد
 اكثر الشعراء في التحدث عنها والتغنى بها ، والاشادة ببطلها الكبير صلاح الدين
 الايوبي ، نذكر منهم العماد الكاتب ، وزيره المقيم في بلاد الشام ، فانه وصف هذه
 الملحمة في بضع قصائد ، وأشار اليها في عدة مناسبات ، منها فتح نابلس ، وفتح
 القدس *

أما أشهر قصائده الحطينية فهي قصيدته السينية التي جاء فيها قوله :

يا يوم حطين والإبطال هابسة	وبالعجاجة وجه الشمس قد هبسا
رايت فيها عظيم الكفر محتقرا	مفقرا خذه والائف قد تمسا
يا طهر سيف يرى رأس البرنس لقد	أصاب أعظم من بالشرك قد نجسا
عري ظباه من الإغصاء مهركة	دما من الشرك رد امابه وكسا
من سيفه في دماء القوم منغمس	من كل من لم يزل في الكفر منغمسا
افناهم قتلهم والاسر فانتكسوا	وبيت كفرهم من خيثم كنتسا

أشار العماد في هذه القصيدة الى ابرنس الكرك ، ولج الى حادثته المشهورة مع
 صلاح الدين ، وهو من جملة من وقع في الاسر يوم حطين ، وكان السلطان قد
 استعصر الامرئ من ملوك الفرنجة وامراتهم ، وهم الملك كي ، وامير الكرك ارناط ،
 وأخو الملك جفرى ، وصاحب جبيل أوك Hugh II Embriaca . وهنرى بن هنرى
 وأبن صاحب اسكندرون ، وصاحب مرقية ، واقدمهم فى
 Humphrey IV
 الدملين واستعصر منهم الابرنس بصورة خاصة ، اذ انه قد عُذر بقاغة المسلمين

فالم بالسواحل فهي صور اليك والحق الهام المتونا
فقلب القدس مسرور ولولا سطاك لكان مكتئبا حزيننا
ادرت على الفرنج وقد تلاقى جموعهم عليك رضى طمونا

نوه الشاعر بهذا الفتح المبين ، وأشاد بالبطل الكبير صاحب النصر الاغر ، ثم وقف عند طيرية يتغنى بما حققه ممدوحه فى جهاده الاكبر . وود لو أنطق الله الجهاد ، وعبر عن نداء مدينة القدس ، وفى هذا التشخيص ما فيه من براعة ومهارة فنية تثير النشوة فى نفس السامع ، كما أشار فى ذات القصيدة الى صليب الصلبوت ، وهو الصليب الاكبر ، الذى يقدمونه ، ويعتقدون أن المسيح عليه السلام قد صلب عليه ، والمعروف أنه وقع فى حوزة المسلمين بعد معركة حطين *

ثمة أمر هام فى القصيدة وهو الدعوة الى فتح بيت المقدس وتطهير الساحل والطراز الاخضر الشامى من الاحتلال الصليبي . ان قيام الشعراء بالدعوة الى الثار والحرب واستعادة الثغور المحتلة بدأت قبل أكثر من خمسين عاما من الفتح ولو حاولت أن اذكرها لاستنفدت منى محاضرة بأكملها *

تحرير بيت المقدس :

أذنت موقعة حطين الخالدة بتحرير بيت المقدس بعد أن بقي نيفا وتسعين سنة بيد الفرنجة ، وكان ذلك سنة 583 هـ ، وهي السنة الغراء كما دعيبت وهي التى سجل فيها صلاح الدين يوسف أروع انتصارات المسلمين فى العصر المذكور .
كانت هذه المعركة نقطة التحول الكبرى فى التاريخ الاسلامي . ذكر ابن الاثير اهميتها وخطورتها وأشاد بها قائلا :

«وما أصيب الفرنج منذ خرجوا الى الساحل سنة احدى وتسعين وأربعمائة الى الآن بمثل هذه الوقعة» ، وعندما فتح بيت المقدس ذكر بأن هذه المكرمة من فتح بيت المقدس لم يقلعها بعد عمر بن الخطاب غير صلاح الدين » *

أما الشعراء فقد أكثروا من نظم القصائد القدسية التى تخلد هذا الحدث العجيب حتى ان بعضهم قصر معظم شعره على التغنى بفتح بيت المقدس فى قصائد خاصة اسماءها (القدسيات) *

أبرز الشعراء الذين وصفوا هذه الملاحم هو العماد الكاتب ، وقد أورد منها جملة فى اواخر كتابه (البرق الشامى) *

عبر الشَّاهِد عن البهجة الكبرى في فتح القدس ، وأعرب من خلال ذلك عن الأهمية الدينية في موافقة البيت المقدس للبيت الحرام ، لأنه أولى القبلتين وثالث الحرمين بعد مكة والمدينة . يضاف الى ذلك أن الحجر المكنون في الكعبة والصخرة المقدسة في القدس كلاهما كان محرَّابا لاعتبار الخلق .

ومن الشعراء الذين خلدوا هذه الملحمة ابن الساعاتي ، فلقد مدح صلاح الدين مشيدا بما حققه للمسلمين من نصر مؤزَّر ، وجاء في مدحته قوله :

أهيا ، وقد هاينتم الآية العظمى	لاية حال تذخر النثر والنظم
وقد ساع فتح القدس في كل منطق	وشاع الى أن أسمع الأسفل الصما
غلبت غنى الخطاب شاهد فتحها	فيشهد أن السيف من يوسف أصمى
وأصبح ثغر الدين جاذلان باسم	والسنة الأعماق تؤسمه لثما
سلوا الساحل المفضي عن سطواته	فما كان الا ساحلا صاف اليما
فللحق شمس لا تقام بباطل	وللمعدل فيه آية تنسخ الظلما

نلاحظ في هذه الملحمة القدسية أن الشاعر أعرب عن فرحته الكبرى ، ولم يكتف بذلك ، وإنما سما الى اتفاق الحكمة الخالدة ، وذكر الفرنجة المحتلين أن شمس الحق لأبد أن تشرق ، وتم البرية كلها ، وأن آية العدل ستنسخ كل جور وظلم ، كما تمنى في هذه الملحمة القدسية أن يشهد عمر بن الخطاب نفسه هذا النصر ليكون شاهدا للعدل . وقد أعرب الشاعر نفسه عن ذات المعنى في قدسية ثانية حيث يقول :

هو الفاتح البيت المقدس بعدما	تصامته سادات الدنيا ومسورها
فضيلة فتح كان ثاني خليفة	من القوم مبدئها وأنت معيدها

هكذا يقارن الشاعر بين الفتحين ، الفتح العمري والفتح اليوسفي وهما في نظره فضيلتان ، أولاها كانت على يد ثاني الخلفاء الراشدين عمر وثانيها على يد الفاتح صلاح الدين يوسف الذي استطاع أن يعيد الحق الى نصابه بمتابعة نهج سلفه ومولاه نور الدين زنكي الذي خطط لمثل هذا النصر ، فعاد الحق الى نصابه ، وأشرقت شمس العدل والوضاء ، ونزلت آيته العظمى لتنسخ ضلال الروم والفرنجة ، وتعيد البيت

هذه ارضاصات حكيم الزمان الاندلسي ، حيث يرى أنه الاسكندر الذي ساد العالم في العشرين وما هو ذا في الثلاثين وقد أذعننت له الاقطار اجمعها وملوك الارض والملسل المختلفة .

أشار اشاعر الى الامر نفسه في معرض تنبؤاته سنة 567 هـ عند قفوله من معركة غزة ، أي قبل الفتح بست عشرة سنة ، وذكر أنه سيأتي في أخرى الزمان منقذاً لسدين كاديبتتر :

أبا المظفر ، فاهنا حظ منتخب أخرى الزمان لسدين كاديبتتر
زهدت فيما سبى الاملاك مكنرزا علما بملك نعيم ما به كرر
ولبت نفسا عن الدنيا وزخرفها وجئت تقدم حيث الهول والخطر
وصف الشاعر هذا البطل المنتظر للفتح الموعود بأنه كان زاهرا في الدنيا وزخرفها ، وأنه يفعل ما يفعله لنعيم أيدي لا يزول ولا يحول .

وأشار الشاعر الى انصر المقل على يده قبل خمسة أعوام من الفتح في قصيدة امتدحه بها سنة 568 ، وقد نيفت على مائة بيت ، وقد تخيل الراية الصفراء تخفق في العالم كله على السواء بعد تحرير فلسطين :

أرى الراية الصفراء يرمى اصطفاها بنى اصفر بالاراضات المعاذم
فتسبى فلسطينا وتجبي جزائرا وتملك من يونان أرض الاساحم
وتعنوله الاملاك شرقا ومغربا بذ احكمت حذاق أهل الملاحم
نلاحظ أن أبا الفضل كان يستثير صلاح الدين في تبشير مدحه ، ويهيئه نفسيا ، ويعرضه على فتح بيت المقدس ، وتنبأ له بمستقبل عريض مشرق يملك فيه العالم كله ، ودليله ما حكمت حذاق أهل الملاحم .

لقد اطلع الشاعر حقا على ما في نفس هذا البطل ، وهذا هو ذاته الذي سوف نراه حينما نتحقق امنية الفتح .

ولعله من المناسب أن نستمع الى الشاعر الحكيم قبل عام واحد في معرض تهنئة بالعاقبة من مرض عرض له في قصيدة بعث بها اليه من غزة وهو على حمص ، وجاء فيها قوله يستثيره ويعاتبه على تريئه ويؤكد له أنه المخصوص منذ الازل بهذا الفتح :

قيا ملكا لم يبق للمدين غيره وهت عمد الاسلام فاشدد لها دما
فشؤم فريق الشرك في الشام طائر فقص جناحيه بأقصى القوى قصا

وان كان اللغزان يؤديان معنى واحدا من حيث الاصل ، بيد أن القدماء قصروا لفظة التباشير القدسية على ما جاء من قول سابق يؤكد فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين أو غيره ، وأما البشائر فقد قصرت على القصائد أو الرسائل التي كانت تسيير حاملة أخبار الفتح .

تحقق الحلم الأكبر والامل العظيم ، وصدقت تباشير الشاعر القدسية منذ سنين بعيدة ، ففتح بيت المقدس وحملت البشائر السلطانية الى كل مصر ، فهزته نشوة النصر ، وانبرى الشاعر الاندلسي يتغنّى فيها بهذا الحدث الأغر .

نختار من قدسيات الشاعر (القدسية الكبرى) ، وبلغ عدد أبياتها مائتين واثنين وخمسين بيتا ، اختار منها قوله :

ووقعة يوم التل اذ قبضت به	جيايرة الافرنج حيرى وشردا
عليهم من البلوى سرادق ذلّة	ومن ذل ماتت نفسه فثقيدا
ترى المنسر الديوي يلقي سلاحه	وينساب ما بين السبايا ملهدا
الم ثر للسلطان صدق نذره	دم الفادر الأبرنس فاقثيدا
وباشره بالقتل وسط جناحه	وعاينه الكند المليك فارعدا
وخاقت بنفس القبح الأرض مهربا	فأدركه الموت المفاجيء مكعدا
وما طرق الاسماع من عهد آدم	كملحمة التل التي تلت العدا

استطاع الشاعر في هذه الملحمة أن يصف وقعة المقدس بعد معركة حطين ، ووصف لنا هزائم الفرنجة المنكرة ، وأشار الى وفاة صلاح الدين بنذره ، وهو قتل الأبرنس بيده ، ان اظفروه الله به كما ذكرنا ، والمعروف أنه غدر بقوافل المسلمين ، وشتم الرسول (ص) ، وكان قد أزمع أمره وتأعب للمسير الى تيماء ، ومهاجمة المدينة المنورة حيث يرقد الرسول الأعظم ، وذلك سنة 577 هـ أي قبل الفتح بست سنوات فقط .

والقدسية الثانية هي (الفتحية الناصرية) ونختار منها بعض الأبيات ، وهي أيضا من مدائحه المطولة :

في باطن الغيب ما لا تدرك الفكر	فذر البصيرة في الاحداث يعتبر
مالي أرى ملك الافرنج في قفص	أين القواضب والمسالمة السمر
والاستبصار الى الداوية التاموا	كانهم سد يأجوج إذا اشتجروا

والأهم من ذلك كله أن هذه المبادئ هي التي يجب أن تكون الأساس
لجميع الأعمال التي نقوم بها في المستقبل. وهذا هو الهدف من هذا
الكتاب. ونحن نأمل أن يكون هذا الكتاب مفيداً للجميع.

والأهم من ذلك كله أن هذه المبادئ هي التي يجب أن تكون الأساس
لجميع الأعمال التي نقوم بها في المستقبل. وهذا هو الهدف من هذا
الكتاب. ونحن نأمل أن يكون هذا الكتاب مفيداً للجميع.

والأهم من ذلك كله أن هذه المبادئ هي التي يجب أن تكون الأساس
لجميع الأعمال التي نقوم بها في المستقبل. وهذا هو الهدف من هذا
الكتاب. ونحن نأمل أن يكون هذا الكتاب مفيداً للجميع.

واستنقذ البيت المقدس عنوة
وأريتهم لما التقى الجمعان يالـ
وردت دين الله بعد قطوبه
وأعدت ما أهدى قبلك فاتحها
حتى جمعت لمعشر الاسلام بيـ
فلمصخرة البيت المقدس كفوها الدـ

من كل ذي نجس بكل مطهر
بيت المقدس هول يوم المحشر
بالمسجد الأقصى بوجه مسفر
عمر فباتت شريكه في المتجر
من الصخرة العظمى وبين المشعر
حجر الفضل عند أفضل معشر

أصبح فتح بيت المقدس قصيدة عربية خالدة ، وملحمة اسلامية رائعة ، يتقننى الشعراء يذكرونها ويتبارون ، ففدا صلاح الدين بطلا أسطوريا قارنه الشعراء بالإسكندر وقيصر وكسرى ، وقد مضى الشعراء الذين سبقوا التحرير وفي أنفسهم حسرة لانهم لم يروا يوم التحرير الاكبر ، وهم الذين تنبؤوا به قبل أكثر من خمسين عاما .

أما الشعراء اللاحقون الذين اتينا على نكرهم فقد شهدوا بأمر أعينهم مواكب النصر ، وراوا الفرحة الكبرى تعم البلاد في كل قطر ومصر ، فلا غرابة أن رأيناهم يكثررون من الأوصاف والدائغ ، حتى أنهم ترقعوا أن يملك الأرض كلها ، وأنه المهدي القائم المنتظر الذي سيملا الأرض عدلا ورحمة بعد أن ملئت ظلما وجورا .

أشار الى هذه المعاني الشاعر رشيد الدين أحمد بن بدر النابلي في قصيدته القدسية التي يقول فيها :

هذا الذي كانت الامال تنتظر
يا بهجة القدس اذ اضحى به علم الا
يا نور مسجده الأقصى وقد رفعت
شتان ما بين ناقوس يدق به
الله أكبر صوت تقشعر له
يا مالك الأرض مهدا فما أحد
هذا الذي سلب الافرنج دولتهم

فليوقف لله اقوام بما نذروا
سلام من بعد طي وهو منتشر
بعد الصليب به الآيات والصور
وبين ذي منطلق يصفى له الحجر
شم الذرا وتكاد الأرض تنفطر
سواك من قائم للمهد ينتظر
وملكهم يا ملوك الأرض فاعتبروا

تلك هي صورة عن الصراع الديني في هذه الحرب ، والتي كانت تخفى وراءها الاطماع الاستعمارية ليبقى للغرب الأوروبي الهيمنة على البلاد المقدسة التي كانت تداعب أحلامهم عبر العصور .

مساهمة الفلسفة فى النهوض بالتربية

د. حنفي بن عيسى
كلية الآداب ، جامعة الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم ،

سيدى ، وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية ،
سيداتى ، ساداتى *

كانت مشكلات التربية ، من اختصاص رجال التربية
وحدهم ، لا يثارهم فيها منازع . وكانوا اصحاب
السلطة المطلقة ، فى توجيه الناشئة ، وتلقينها ما
يشاعون من القيم ، والمعلومات *

الا ان التربية ، أصبحت اليوم عنصرا فعلا من عناصر التقدم والرقي ، وعاملا
اساسيا من عوامل الثورة الثقافية *

تلك الثورة التى اثار اليها الشاعر ، فى بداية هذا القرن ، عندما قال :
فلم ما استطعت لعل جيلا سياى ، يحدث العجب العجيبا
هذا العجب العجيب ، الذى اثار اليه الشاعر ، هو النهوض من كبوة التخلف ،

(*) محاضرة القاها يوم الخميس 25 ربيع الاول 1394 هـ الموافق لـ 18 افريل 1974 م
بقاعة المحاضرات ، قصر حسن ، التابعة للمركز الثقافى الاسلامى بالعاصمة *

تفذيها دوماً بالأفكار • لأن تيار الفكر ، متى انقطع ، كان مآل التربية الى الخراب ، وسارت الحضارة الى الانحطاط والاندثار •

يقول جون ديوى المربي الشهير : « أن أساس كل فلسفة ، هو فلسفة التربية وقوامها دراسة كيفية تشييد صرح الحضارة فى العالم » •

ولقد يبدو هذا الكلام مجرد ادعاء • ولكن اذا نظرنا الى الاقبال الشديد على دور العلم • واذا نظرنا الى الضغط الشعبى المنقطع النظير على ابواب المدارس ، والثانويات ، والجامعات • فلا يسعنا حينئذ ، الا أن نستنتج بأن أغلب الشعوب مقتنعة بكلام « جون ديوى » وأن الدروب التى تؤدى الى الحضارة ، هي دروب التربية والتعليم فمما يسترعى النظر مثلاً ، أن جميع الدول متجهة اليوم ، نحو تسجيل جميع الاطفال فى المدارس ، الا أن التعليم المدرسى النظامى ، لم يعد وحده يكفى • فلابد من التعليم خارج نطاق المدرسة • ويتم هذا فى العمل ، فى المؤسسة ، فى المزرعة • ولابد أيضاً ، من تنظيم برامج تربوية مذاعة أو متلفزة • ولابد من دروس لرفع المستوى واستكمال التعلم • ولابد من الدورات التدريبية • ولابد من المكتبات ، والدروس بالمراسلة ، ودروس محو الامية ، وما الى ذلك من انواع التعليم الذى يحصل خارج نطاق المدرسة • بحيث أن المرء لا يسمعه الا أن يلاحظ بأن مفهوم البيداغوجيا (يعنى : فن تعليم الطفل) قد تغير ، لانه بات لزاماً أن يحل محله مفهوم لاندراغوجيا (فن تعليم الانسان) وهكذا أصبح الحديث الشريف الذى يوصى المرء بأن يتعلم من المهد الى اللحد ، أصبح هذا المبدأ حقيقة ملموسة • وصرنا نسمع من ينادى بالتربية المستمرة ، ومن يقول بأنه لا يجوز أن يستأثر الاطفال وحدهم بنفقات الدولة • لأن الكبار أيضاً لابد أن يحظوا بالثقافات الدولية اليهىم ، وصرنا نسمع كذلك من يقول - لتوضيح مفهوم التربية المستمرة - بأن الانسان لا يولد تمام الولادة الا عندما يموت • أى عندما يستكمل مقومات ذاته • فالولادة باتت معنى الكلمة لا تتم الا عندما يلفظ الانسان انفسه الاخيرة ، بعد تفتيق مواهبه ، وتحقيق ذاته من جميع النواحي ، الدينية ، والاخلاقية ، والاجتماعية ، والعلمية ، والتقنية ، والفنية ، والمهنية ، واليدوية ، والبدنية • وهناك اتجاهات أخرى تدعو الى ما يلى :

اولاً : تعديل البيئات التربوية ، لفتح مجال أوسع أمام المتعلمين •

ثانياً : العناية بالحالات الفردية فى التعليم ووضع ما يسمى بالبرنامج الملائم للفرد من حيث الزمان والمكان ، والمحتوى ، والسرعة ، فهذه العوامل الاربعة يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار فى وضع البرنامج •

التربوية فقط . أما أنا فأعتقد بأن الفيلسوف لا يجوز أن يقتصر على الملاحظة والتسجيل ، بل لابد بأن يتدخل ويفيد بنى قومه فى هذا المجال الحيوى ، الذى يتعلق بمصير الانسان .

اول ما يلاحظه الفيلسوف فى شؤون التربية ، أن النظريات مختلفة فيما بينها اشد الاختلاف . وبعض المربين يرون مثلا أن العصر الذى نعيش فيه ، يتميز بالتبديل والتغير ، فيجب علينا إذن أن نواجه العصر بتربية تقدمية تسير تطورات العصر .

ويرى البعض الآخر أن هناك قيما ثابتة لا تتغير ، وأن مهمة المدرسة هي غرس تلك القيم فى الاطفال ، إذن الفيلسوف هنا يواجه مشكلة التغير من جهة ، والثبوت على حالة واحدة من جهة أخرى . غير أن هذا التضارب فى الجهات التربوية ، لا ينبغي أن يحول دون البحث عن القاسم المشترك فى الشؤون التربوية ، ودور الفلسفة يتمثل فى البحث عن هذا القاسم المشترك ، أو المبدأ العام الذى تتعدد حوله النظريات التربوية وأول مساهمة تقدم بها فلسفة التربية ، هو انتقاد ما يسمى بالحس المشترك ، فالحس المشترك هو مجموع الاعتقادات ، والآراء الشائعة بين الناس ، وهي آراء توجه سلوكنا ونشق بها ثقة صمياء .

وكثيرا ما توقعنا فى خطأ مبين ، وهنا نلاحظ أن لكل معلم ، ولكل مدير ، ولكل مسؤول فى التربية والتعليم ، لكن واحد من هؤلاء فلسفة خاصة فى شؤون التربية . ولا شك أن هذه الفلسفة البسيطة ، كافية لحل المشاكل السهلة ، وتصريف شؤون المدرسة ، وانها صالحة كنقطة انطلاق . ولكن الملاحظ أنها عاجزة عن وضع سياسة تربوية ، ورسم استراتيجية مبنية على معطيات الواقع ، وعلى الاحتياجات المتلمحة فى المستقبل ، وهنا يرد السؤال : هل نقول بفلسفة واحدة للتربية أم عدة فلسفات ؟ وإجاباى للاجابة على هذا السؤال لاقول ، أنه لا يمكن أن توجد عدة فلسفات على درجة واحدة من الصحة ، فتعددها يعنى أول ما يعنى ، أنها متفاوتة فى الصلاح ، وفى تجاوبها مع مقتضيات الواقع العملى .

فالخلاف إذن بين النظريات التربوية ، موجود لا سبيل إلى انكاره ، ولكنه يمكن التغلب على المأزق الفلسفى بالرجوع الى القاسم المشترك ، وهو الانسان ، فالانسان عاقل ، والعالم الذى نعيش فيه خاضع لقوانين العقل ، وبالتالي فانه يمكن حل المشاكل المتعلقة به ، مهما كان نوعها .

ونحن اذ ندعو الى تحكيم العقل فى الشؤون التربوية ، انما نحاول أن نصلح هذه الشؤون ، معالجة الفيلسوف الشاملة . وهذه المعالجة تقتضى نقد الاعتراضات

المؤسسة - يقال أن المدرسة خلقت من أجل الإنسان ، ولم يخلق الإنسان من أجل المدرسة - وبطبيعة الحال أن آراء ايليتش وجماعته ، لا تلائم أي نظام من النظم الاجتماعية ، والسياسية الراهنة . أما الحركة المناهضة التي نظمها المتعلمون أنفسهم ، فقد نشأت بعدما لاحظ هؤلاء أن النظام التربوي ، لا يزال جامدا ، ولا يزال خاضعا في بعض البلدان للفخبة المثقفة المنبثقة عن الطبقة البورجوازية . فهي التي فرضته ، ووضعت قوانينه ، ولاحظوا أيضا أن هناك انفصالا تاما ، بين نوع يائد من التعليم ، وبين حقائق هذا العالم . - أي أن المدرسة تعلم شيئا وحقائق العالم شيء آخر - أن المناهضة التي قام بها الطلبة ، سوف تترك أثرا عميقا في مجرى التاريخ . لأنها استطاعت ، بما فيها من انتقاد جماهيري للوضع التربوي ، أن تنفذ إلى ميدان كان محصنا تحصينا قويا ، وفي السابق لم يكن أحد يجسر على انتقاد الأوضاع التربوية .

أما حركة المناهضة هذه فلال مرة أحدثت ثغرة في هذا الحصن المنيع التربوي ورغم ما اتسمت به حركة المناهضة من فوضى ، وأحيانا من سذاجة الرأي ، وأحيانا أخرى من عنف كما كان الأمر في فرنسا سنة 1968 فإنها استطاعت مع ذلك أن تزلزل كيان الانظمة التربوية . ما هي العبرة التي نستخلصها من هذه الحركات المناهضة ، المطالبة بالتغيير الجذري ؟ العبرة هي أن الفيلسوف بعدما تخلص عن دوره في انتقاد القيم وتمحيصها ، وتبيان الاصيل والزائف منها . حل محله قوم آخرون ، قل ما يحكمون العقل فيما يقولون ويفعلون ، ويبدو لي أن الفيلسوف ، لم يعد ينهض بمسؤوليته تجاه المجتمع ، في الدعوة إلى الاصلاح وانتقاد أوضاعه وتشخيص دائه ووصف الدواء الناجع له فشتان بين سقراط الذي كما قال شوقي : (أعطى الكأس وهي نية شفقتي محب تشتهي التقبيل) بمعنى أنه شرب السم ، ومات شهيد العلم والفلسفة .

والحقيقة أقول شتان بين سقراط الذي فضل أن يموت عوض أن يداهن . شتان بين سقراط وبين الفلاسفة من عصرنا ، المقطوعين عن حقائق شعبيهم ، الغافلين كل الغفلة عما يختلج في نفوس الجماهير . وهكذا . فعوضا من أن يكون الفيلسوف في الطليعة يرشد الناس إلى ما فيه صلاحهم ، إذا به اليوم كغيره من الناس ، قانع بوظيفته كاستاذ ، أو كموظف لا يكاد يحيد عن تلك الوظيفة قيد أنملة . - ان المسألة تتعلق بترقية الإنسان ، وباستكمال مقومات ذاته ، بتحقيق هويته ، وتحقيق مواهبه .

بنفسه ، متى أراد ، وحيثما أراد ، وبالسّعة التي تناسبه . وبهذا الاعتبار فإن عملية التعلم ، يمكن أن تتم على فترات متقطعة ، وأن تستمر طوال الحياة .

ثانيا : لا يزال أكثر الناس يعتقدون أن أفضل فترة في حياة الإنسان للتعلم تقع في حدود الطفولة والشباب ، وأن المعلومات التي يحصل عليها في هذه الفترة من العمر ، سوف تبقى صالحة على مدى الحياة . وهذا وهم وخطل كبير ، المعلومات لا تصلح إلا لفترة معينة ، ثم بعد ذلك يجب على الإنسان أن يستكمل معلوماته .

ثالثا : يعتقد البعض أن مشاكل التربية يمكن أن تعالج بطريقة علمية رزينة متجردة من التخمينات الفلسفية الواهية . فبعض الناس يقولون نحن في غنى عن الفلسفة في معالجة قضايا التربية ويمكن أن نستعين بالعلم فقط ، لأن العلم موضوعي ، فالفيلسوف يسلك سلوكا لا يناسب هذه القضايا . وهم بذلك - أي هؤلاء الناس - يضمعون العلم والفلسفة على طرفي نقيض يقولون أن العلم فيه مجال للاتفاق ، وأما الفلسفة ، فالمجال فيها واسع للخلاف ، فهم يفرقون بين المعالجة الفلسفية للقضايا التربوية ، والمعالجة العلمية للقضايا التربوية ، يقولون : يمكن على صعيد العلم أن نصل إلى الاتفاق ، وأما على صعيد الفلسفة فلا يمكن أن نصل إلى اتفاق ، بل هناك دائما خلاف . العلم يحل القضايا التربوية ، والفلسفة تتركبها - أي أن هناك تحليل بالنسبة للعلم وهناك تركيب بالنسبة للفلسفة . العلم استقرائي ، في حين أن الفلسفة استنتاجية . العلم ذرائعي ، نفعي مرتبط بمصالح الناس ومثاربهم في هذه الحياة ، في حين أن الفلسفة مثالية ، ومتنكرة أحيانا للواقع . العلم متحرر وتقدمي بينما الفلسفة جامدة ومحافظة . ويتنهي هؤلاء إلى القول ، بأن التفكير الفلسفي أسهل من التفكير العلمي ، وأن دور الفلسفة في حل المشاكل يتضائل كلما كثرت الحلول العلمية . أي نستطيع أن نقول أن القرن العشرين وهو عصر الثورة العلمية ، ولذلك كثير من الناس يعتقدون بأنه يمكن الاستغناء تماما عن الفلسفة - فهل يصح بعد هذا أن نستنتج بأنه لا حاجة إلى الفلسفة في حل القضايا التربوية ؟

الحقيقة أن العالم إذا يتوخى الدقة والموضوعية ، مضطر في نفس الوقت لأن يضحى بالاتساع والشمول ، فكلما توصل العالم إلى حل قضية تربوية ، سوف يجد نفسه أمام قضايا أخرى مطروحة بحيث أن القضايا الجديدة ، تزعزع ثقتنا بصحة الحلول القديمة العلم قد يتوصل إلى حل بعض القضايا ولكن كلما حل قضية ، سوف يجد نفسه أمام قضايا أخرى .

بالنظرى فى هذه البلدان المعروفة بضحالة الفكر ، وجذب القرائح ، وكيف يمكن للطالب أن يشهد فكره إذا لم يحتك بالاستاذ ولم يستمع اليه ولم يناقشه ، والحقيقة أن أزمة الفكر فى العالم العربى تكاد تشبه أزمة الوقود فى العالم الغربى كما أن الوقود قوة تحرك الآلات فكذلك الفكر يدفع الى النشاط ويولد المشاريع والفكرة الواحدة قد تكون منطلقا لعمل المهندس المعماري ، والنجار ، والكهربائى ، والمحامى ، والاستاذ ، والطبيب ، هؤلاء كلهم يشتغلون فى المجال العملى ، انطلاقا من الفكرة الواحدة - ولذلك فإن الاستهانة بالدراسات النظرية فيها قتل للفكر ، وتجميد للنشاط ، من حيث المنطلق - وأخيرا من الامور التى يمكن أن ينتقد بها الحس العام أو الافكار الشائعة وهو ما يلى :

أن حرص الدول المتخلفة على اللحاق بالدول المتقدمة فى العلم والثقافة ، لا ينبغى أن يكون على حساب سعادة الانسان وسعيه الدائب فى استكمال مقومات ذاته - أي أن بعض الدول النامية مشهورة اليوم باللاحاق بركب الدول المتقدمة - وكثيرا ما تتناسى أولوية الانسان فى هذا العالم - وذلك أن الهدف الاسمى ، الذى ينبغى أن تسعى اليه التربية الاسلامية هو استكمال مكارم الاخلاق ، عملا بقوله عليه الصلاة والسلام : (يمتثل لآتم مكارم الاخلاق) .

ولقد تساءل بعضهم عما إذا كان ينبغى أن نجعل التربية قائمة على بعد واحد هو البعد الطبيعى (أن نعترف لما وراء الطبيعة من دور أساسى أو ثانوى فى تحديد السياسة التربوية ، فبعض التقدميين مثلا يرون بأن هناك بعدا واحدا لمالم التربية ، وهو الطبيعة ونحن نرد على هؤلاء فنقول : بأن نكران ما وراء الطبيعة ، يتضمن فى حد ذاته نظرية حول ما وراء الطبيعة - وأن ما وراء الطبيعة يمكن أن يفدى النفوس ، بقوة تحدث المعجزات ومن المعروف أن غرض المسلمين من التربية لم يكن دنيويا محضا ولم يكن دنييا محضا فقد كانوا يرمون الى اعداد المرء لعملى الدنيا والآخرة .

قال تعالى : « وإتق فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » وروي عن النبي صلى عليه وسلم أنه قال : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، وأعمل لأخرك كأنك تموت غدا » وقد امتدح أحد الشعراء (المأمون) بقصيدة قال فيها :
تسأغل الناس بالدنيا وزخرفها وأنت بالدين عن دنياك مشغول
فاستنكر المأمون قوله هذا ولم يعجبه هذا المدح ، قال : (ويحك جعلتني عجوزا فى محرابها ومعها سبحتها ، هلا قلت كما قال جرير فى عمر بن عبد العزيز :

فلا هو فى الدنيا مضيق نصيبه ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

تشجيع الاختراعية والابتكار في البلدان النامية (1)

يعني زكرياسن (*)

ترجمة : د. خير الله حصار
جامعة عنابة

مما لا شك فيه أن القوى الإنسانية في حقلي الاختراع والابتكار هي أثمن ما تمتلكه البلدان النامية من الموارد الطبيعية ليست هذه الموارد موجودة عند البعض ومعدومة عند البعض الآخر ، بل هي موزعة بين الأفراد توزيعا متناسقا ومتوازنا ، ولكنها ، إلا في حالات نادرة ، غير مستثمرة استثمارا حسنا على العموم .
لقد أطلق مصطلح (عدم تشغيل القوى) على هذه الحالة من عدم الاستثمار لهذه القدرات . وفي رأيي أنه أن الاوان كفي نضع حدا لهذا الوضع في اقرب أجل .



(1) كلمة القاها في المؤتمر العالمي حول نظام تسجيل الاختراع وأهميته بالنسبة للبلدان النامية ، والذي عقدته المنظمة العالمية للملكية الفكرية في كولومبو ، سرى لانكا من 21 الى 24 فبراير 1977 .

(*) السيد زكرياسن ، مسلم دانمركي ، يشغل منصب مدير مكتب استشاري هندسي لتنمية Zec-Consult في كوبنهاغن ، الدانمرك . وقد شارك في المنتقيين العاشر والحادي عشر للفكر الاسلامي في عنابة وورجلان .

لنتظر الآن الى ما يقوله الباحثون في هذا الصدد :

يذكر مؤلفو (2) كتاب « منابع الاختراع » ان اكثر من نصف المخترعات التي انجزت في هذا القرن قد جاءت من طرف مخترعين يعملون لانفسهم أو يعملون في شركات صغيرة . كما ان ايلكارت اثبت في أحد بحوثه على الصناعة البريطانية ان عدد المخترعين الذين يعملون بإمكانيات محدودة يصل الى 80 ٪ من مجموع المخترعين البارزين . كما ان هذه النسبة ذاتها (أي 80 ٪) مر مجموع الاكتشافات التكنولوجية الهامة قد كان نتيجة لصرف 5 ٪ فقط من مجموع المبالغ التي خصصت للبحوث ولتطويرها .

يقول م . ج . بيك (3) ان المنتجين الكبار في حقل صناعة الالومنيوم الامريكية قد اخترعوا فقط 7/1 من مجموع الاختراعات الهامة ذات الصلة بلحام الالمنيوم ، تشكيكه ودهنه . اما في الصناعة البترولية فيصف البنوس الوضع كما يلي : « لقد تحققت معظم الانطلاقات الفكرية الجذرية على أيدي مخترعين يعملون على هامش الصناعة البترولية ، ولم يتحقق الا القليل من هذه الانطلاقات الجذرية على أيدي اناس يعملون في الشركات البترولية الكبيرة . فاذا احصينا المخترعات الرئيسية في مجال تحليل البترول (؟) Petroleum cracking لا نجد الا مخترعا واحدا قام به موظف يعمل في شركة كبيرة » . أما البقية فقد قام بها مخترعون مستقلون .

يقول د . هامبرغ (4) لا وجود في الولايات المتحدة لابتكار واحد ذي أهمية جاء من صميم صناعة الغولاند ومن طرف العاملين فيها .

ونحن نرى ان هامبرغ يجانب المبالاة كثيرا عندما يدعى أيضا ان المختبرات الصناعية الكبيرة ليست الا مصادر قاصرة بالنسبة للمخترعات الكبيرة وبالنسبة للمخترعات التي تتضمن تحسينا ، على أشياء سبق ان تم صنعها .

(2) أنظر

J. W. J. Sewers et Stilerman, "Sources of Invention", Mc Millan, II* nd 6d. 1969.

(3) M. J. Pech, "Competition in American Aluminum Industry, 1945-1955", Harvard University Press, 1961.

(4) D. Hamberg, "Creativity and Innovation in Engineering", 6d. S. A. Gregory Butterworths, 1972.

أن الشركات الكبيرة كثيرا ما تتبنى المخترعات الصغيرة بعد نجاحها وذلك لأن أوضاع هذه الشركات المالية تسمح لها بتحمل تكاليف تطوير المخترعات .

انى متأكد ، على أية حال ، انه يوجد آلاف الناس فى البلدان النامية الذين باستطاعتهم القيام باختراعات وابتكارات هامة اذا أمنا لهم الجو المناسب - وسوف يكون من الممكن انجاز الكثير من هذه الاختراعات فعلا لأن المخترع لا يعرف أن اختراعه مستحيل .

البيئة المشجعة - ما هي عناصر البيئة التى تشجع على حدوث الاختراع والابتكار ؟ سأحاول فى الوقت المتبقى لى أن اصف بعض المظاهر الهامة لهذه البيئة .
ان الجو الاجتماعى - النفسى هو أهم مظهر لها . انى أقصد بهذا وجهة نظر المجتمع العامة نحو المخترعات والابتكارات فإذا كان المجتمع يعتبر كل شيء جديد من عمل الشيطان ، فقل ما يقال إذن هو أنه يصبح من الصعوبة بمكان بل ومن الميئوس منه ، أن يكون لدينا مخترعون ومبتكرون .

اما العامل الثانى فهو أن نعترف ونحترم المخترعين ونكافئهم . فمن الضروري الاعتراف بالمكانة الهامة للمخترعين واعطائهم المكافآت المالية لأن لهذه تأثيرا تشجيعيا لاقتناعنا بجدواه ، وليس بسبب ميثاق الأمم المتحدة حول الحقوق الثقافية والاجتماعية لاقتناعنا بحدواه ، وليس بسبب ميثاق الأمم المتحدة حول الحقوق الثقافية والاجتماعية والاقتصادية الذى أصبح نافذ المفعول فى 3 جانفى 1976 ، ينص على ذلك .

لقد أكدت على أهمية الوسط الشخصى الصغير لكن هذا غير كاف فى حد ذاته . يجب أن نؤمن للمخترع إمكانية الاتصال مع العالم المحيط به ، لا أقصد زملاءه العاملين فى نفس الحقل ، بل اعنى الاطلاع على فروع العلوم المختلفة والتكنولوجيا والأسواق والمعارض وحضور المؤتمرات التى تقام فى بلده وفى البلدان الأجنبية . هذا وأن الاتصال بالإنسان العادى ، سواء كان عاملا فى مصنع ، فلاحا أو صيادا ، له قيمة كبيرة أيضا .

ان الاطلاع على المعلومات التكنولوجية ذات العلاقة بموضوع الاختراع له أهميته أيضا . انى لا أقصد الكتب التى تعالج موضوع تسجيل الاختراع وبراءته وما شابه ذلك ، والتى غالبا ما تكون مكتوبة بلغة يصعب فهمها من جانب الكثيرين من المخترعين . انى أقصد تلك المعلومات الخاصة والتى تتضمن لمحات جامعة عن النتوجات والطرائق

لقد ثبت ان لـ « سنة التشجيع » مفعولا تحفيزيا كبيرا بالنسبة للمعاملين فى حقل الاختراع فى الولايات المتحدة • ولذلك فمن المحتمل ان يكون لها نفس الاثر الطيب على جهود المخترعين فى البلدان النامية • وان عددا لا بأس به من المخترعين الاوروبيين الذين اعرفهم ، يتوقون الى ان تصبح « سنة التشجيع » مقبولة عالميا بعد بعض الوقت •

انتقل الآن الى فكرة أخرى تستحق مزيدا من العناية وتتعلم ببعض الاختراعات ذات الفائدة العملية • فى رأى ثمة حاجة لشكل من اشكال شهادات الاختراع والتي تتضمن مبدأ « رخصة حقوق » (الاختراع) والتي تتفق مع أوضاع السوق فى البلدان ذات الاقتصاد الحر ، ومع أوضاع السوق فى البلدان ذات الاقتصاد الذى تسييره الدولة ، أيضا •

للاسف فى هذا المقام لن أستطيع ان اعطى مزيدا من التفاصيل حول الدور الذى يلعبه نظام تسجيل الاختراع • كل ما أمله هو ان يعالج هذا الموضوع بصورة جديدة ومبتكرة من الآن فصاعدا •

انتقل الآن الى مجموعة من العوامل المشجعة • هذه العوامل هي عدد من الوسائل التى تساعد على تطوير اختراعات مفيدة وحيوية ، اذكر منها :

1 - تقويم الاختراعات الجديدة فى ضوء فائدتها للبيئة وقيمتها الاقتصادية والبيئية.

2 - تقديم المساعدات المالية والفنية للمخترعين حتى يستطيعوا صنع نماذج لمخترعاتهم وكى يتمكنوا من تقديم طلب لتسجيل الاختراع ومتابعته وتنفيذ التجارب وصنع النماذج الاولى والورشات النموذجية اللازمة •

3 - المساعدة فى اطار تأمين المشتريين الاولين للمنتجات والطرائق المخترعة و1/ وتأمين الرخصة اللازمة •

من اللازم ان يقوم بالاشراف على ادارة وتنفيذ هذه الوسائل المساعدة مكتب مخصص لهذا الغرض ، اواية مؤسسة مشابهة وذلك على غرار ما يجرى فى البلدان السكندنافية وبعض البلدان الاوروبية • ولقد حاز هذا الاسلوب من الاشراف على نجاح لا يأس به •

هذا وان رايطات المخترعين وجميعياتهم التى تهدف الى ترويج المخترعات قد اثبتت انها عوامل جد هامة فى مجال تشجيع الاختراع والابتكار وتنفيذهما • كما ان الاتحاد الدولى لرايطات المخترعين (IFIA) قد كرس الكثير من جهوده من أجل تحقيق هذه الاهداف على المستوى الدولى •

في الختام أرجو أن تسمحوا لي أن أقدم عددا من الاقتراحات :

(1) يجب أن تقوم المنظمة العالمية للملكية الفكرية (Wipo) بتنفيذ برنامج عمل يهدف إلى اعلام مخططي السياسة في البلدان النامية بفحوى الخطوات العملية التي من واجب الحكومات أن تتخذها من أجل تشجيع وتحريك الاختراع والابتكار والتأكيد على الفوائد التي تعود عليها من هذا كله .

2 - يجب على حكومات البلدان النامية أن تقوم بصياغة الخطط المتعلقة بتشجيع وتحفيز على الاحراعات والابتكارات في اطار برامج التنمية التي تنفذها .

3 - يجب ادخال طرائق الاختراع والابتكار الى صلب المناهج المقررة في الجامعات والمدارس الثانوية والمؤسسات التربوية العالية الأخرى .

4 - يجب تأسيس مكاتب ومنظمات من أجل ترويج الاختراع والابتكار الفنيين في البلدان النامية وعلى حكومات هذه البلدان أن تدعمها وتسمح لها بالعمل خارج اطار الروتين وتسلسل السلم الإداري .

5 - لابد من تشكيل جمعيات خاصة بقصد ترويج الاختراع والابداع يكون اعضاؤها من بين المخترعين والعاملين في الصناعة ومن لهم اهتمامات بهذا الموضوع .

6 - يجب وضع الخطط اللازمة من أجل الاعتراف بوجود واحترام من يقدم اختراعات أو مبتكرات أصيلة ويجب تقديم المكافآت المالية وغير ذلك لهم .

7 - كذلك يجب تخصيص الوسائل المالية المناسبة في كل بلد نسامي بهدف تمويل والمساعدة على تمويل مشاريع تطوير الاختراعات التي قد تتمخض عنها فوائد ما .

8 - ويجب أن تخفف الضرائب المفروضة على المخترعين وعلى أولئك الذين يحاولون أن يستثمروا ما يجد من ابتكارات محلية .

9 - وأخيرا يجب إعادة النظر في المعايير الفنية والمتطلبات الرسمية الأخرى وأيضا في القوانين السائدة حول موضوع الاختراع وذلك بهدف إزالة كل العقبات في طريق ادخال الابتكارات التكنولوجية المناسبة .

من الممكن أن يطول بي المقام اذا ما أردت أن اورد كل المقترحات التي في جمعتي ، على اني آمل ان ما ذكرته حتى الآن يشجع (أو يستفز ، اذا سمحت لنفسى أن استعمل هذه الكلمة بشكل ودي) البعض منكم كي يطرح مسائل الاختراع والابتكار في المستقبل بشكل أكثر ابداعا وابتكارا ، والسلام .

* ۱۹۷۴ تا ۲۰۰۲ ساله

[illegible][illegible][illegible][illegible]

כִּי יִשְׁמַח בְּיָמָיו וְיִשְׁמַח בְּכָל יְמֵי חַיָּיו

יחזקאל יחזקאל יחזקאל יחזקאל יחזקאל

२. जं० ॥३॥४॥५॥६॥७॥८॥९॥

(*)

١٠٦



ولئن كان العلم الحديث يركز على الأبحاث القديمة ، والاختراعات العلمية ليست في الواقع الا حلقات متواصلة لبني الانسان منذ النشأة الاولى . اذ ان الحضارة التي نعيشها الآن هي عبارة عن تجارب وابحاث متواصلة منذ النشأة الاولى الى يومنا هذا ، وليست هي من اختراع انسان واحد ولهذا ، يجدر بنا ان نتعرض - ولو قليلا - الى تطور علم الفلك ، فمصدر الاشعة الشمسية هي الشمس التي تجرى لمستقر لها كما في قوله تعالى : « والشمس تجري لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم » . وقد اهتم بها القدامى اهتماما محدودا حسب امكانياتهم الحضارية واتجاهاتهم الفكرية ، وعقائدهم الدينية ، فمنهم من عيّد الشمس مثلا ، ومنهم من اتخذها دليلا للاتجاه ، ومنهم من اتخذها مصدرا للحياة ومنهم من اتخذها دليلا على التوقيتات بصفة عامة . والمهم هو ان الشمس والكواكب والتجوم ، قد اهتم بها الانسان منذ نشأته الاولى . وهذا تجده واضحا في الحضارات القديمة ، ففي المعبود الفرعوني صور للشمس ، وكذلك الآثار الكلدانية ، نجد فيها اثارا للشمس ونجد شعراء العرب ايضا قد اهتموا بالفلك باعتبار الشمس تمثل جزءا منه وفي العصور الوسطى - خاصة في عهد المأمون - زاد اهتمام العرب برصد حركات الشمس ، فنبغ علماء منهم : البيروني ، والاسطرلابي ، وسند بن علي ، والخوارزمي ، وثابت بن قرة وغيرهم من علماء العرب الذين كانوا بارعين في هذا الميدان ، وكانت للعرب ، ومحاولات ونتائج قيمة في رصد القمر ، وحركة الشمس ما زالت آثارها واضحة في اسماء كثيرة للتجوم التي نجدها في اللغة اللاتينية . كالراعي ، والحمل ، والذئب التي هي نجوم نجد اسماءها لا تزال كما هي بالفرنسية .

وهذا ما يدل على ان العرب قد برعوا في علم الفلك وساهموا فيه وانهم لم يتركوا الزمان يمر دون اضافة لبنة من لبنات الاختراعات لتشييد قصر الحضارة الحديثة ، ولا غرو ، ان هذه المشاركة الاسلامية العربية كانت بدافع ايمانهم . ذلك ان القرآن يحث كثيرا على هذا الميدان ، الميدان العلمي ، ميدان البحث ، وهناك آيات كثيرة تحث الانسان على التعمق في التفكير والبحث في الحقائق العلمية : « ان في خلق السماوات والارض ، واختلاف الليل والنهار ، آيات لاولي الاياد ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السماوات والارض »

وكذلك وجهه الى « زحل » ورأى ما حوله من قوايع • وكذلك « المشتري » بل
اكتشف نجوما كثيرة ما كانت معروفة من قبل • وذلك بفضل هذا المنظار العجيب •
وكذلك استطاع ان يخترع بعض المعادلات للحركات التوافقية • اما « نيوتن » الرياضى
الانجليزى الذى عاش فى القرن الثامن عشر ، فقد اكتشف قانون الجاذبية وقواعد
أصول الحركة المعمول بها الى يومنا هذا ، والتي يمكن تلخيصها الى ثلاثة قوانين هي :

- 1 - كل جسم متحرك ، حركة خطية منتظمة وثابتة ، سيبقى على حالته ما لم
تتدخل قوة خارجية أخرى •
- 2 - اذا وضع جسم تحت فعالية قوة خارجية ، سيتسارع فى اتجاه هذه القوة
بنسبة عكسية لها •
- 3 - لكل قوة ، قوة مضادة مساوية ، ومعاكسة لها •

وفى مطلع القرن الحالى ظهر نابغة آخر هو « البرت اينشتاين » الذى أدخل تغييرا
خارقا على ما وصل اليه العلم منذ الاجيال العتيقة ، حيث خرج بالنظرية النسبية ،
التي هزت الابحاث العتيقة وأضافت أشياء كثيرة منها البعد الرابع أي البعد الزمنى
اذ ان الأبعاد المعروفة قبله كانت ثلاثة فقط هي الطول والعرض والارتفاع • وكذلك
ادخل أبحاثا جديدة ، فقد كانوا من قبل يقولون باللانهاية فجاء هو وقال بأن للانهاية
نهاية ، ولكن هذه النهاية مجهولة • وقال بأن الذرة ما هي الا صورة مصغرة للكون
العجيب ، تمثله احسن تمثيل • فالسيارات فى دورائها حول الشمس • والنجوم فى
مجراتها • يجمعها نسق واحد ، وتماثل حركى واحد • والكل يمثل وحدة الوجود •
وفى السنوات الاخيرة • اتجهت الابحاث الى دراسة الطاقة والطاقة الشمسية
بالخصوص ، واخترعت لذلك الصواريخ ، والاقمار الصناعية المجهزة بالالات لرصد
الاشعة الشمسية بصفة عامة والكونية بصفة خاصة •

بعد هذه اللحظة السريعة • ندخل فى موضوع الاشعة الشمسية ، الذى يدخل
— حسب التخصصات الحديث — فى ميدان الطاقة ، التي ما زالت غامضة فما هي الطاقة
مثلا ؟

اننا نعرف الطاقة عن طريق اثارها فقط ، والاشعاع الشمسى ما هو فى الواقع
الا طاقة لكن العلم الحديث يفرق بين الطاقات حسب مصادرها ، فهناك الطاقة الشمسية
والطاقة الحرارية والطاقة النووية ، والطاقة الكهربائية الخ ... والشمس عبارة

منها يمثل موجة • وهذه الألوان السبعة هي : البنفسجى - الأزرق - النيلي - الأخضر - الأصفر - البرتقالى - الأحمر • كل لون منها يمثل موجة يختلف طولها عن طول الموجة الأخرى ، فأقصر طول هو طول الموجة البنفسجية الذى يتراوح ما بين 0.3 و 0.4 من الميكرو • وأكبر كمية من الطاقة الاشعاعية الشمسية التى تصلنا هي التى تحملها اللون الأشعة الخضراء والصفراء ، والتى تدور أطوالها حول 0.5 من الميكرو • وقد يتساءل بعضكم لماذا يكون الشفق أحمر ؟ هذا بسيط للغاية •

قلنا ان الاشعة الشمسية تتكون من سبعة ألوان ، الاشعة البنفسجية قصيرة جدا ، والاشعة الحمراء طويلة ، الاشعة القصيرة تنعكس بسرعة والاشعة الطويلة لا تنعكس بسرعة • وعندما تطلع الشمس صباحا يبدو الأفق أحمر لان المسافة التى يقطعها شعاع الشمس لكي يصل الى هناك ، بعيدة جدا • وعندئذ يمتص الغلاف الغازى كل الاشعة الدقيقة ويترك فقط الاشعة الطويلة التى يمثلها اللون الأحمر • وكذلك الحال فى تحليل ظاهرة احمرار الشفق عند الغروب •

لماذا نرى بعض الاجسام سوداء تماما ؟ لانها تمتص كل الاشعة • ولماذا نرى بعض الاجسام بيضاء ؟ لانها تعكس كل الاشعة ونحن نعلم ان اللون الابيض متكون من سبعة ألوان • لماذا ترى قماشا أخضر مثلا ؟ لانه يمتص كل الألوان ما عدا اللون الأخضر الذى يعكسه الخ •••

المهم ان هناك اشعة مرئية وأخرى غير مرئية وهذه الأخيرة هي التى تحتوى على أطوال موجية قصيرة من الاشعة البنفسجية تعرف بالاشعة فوق البنفسجية وتأثيرها الكيماوى أكثر من تأثيراتها الحرارية • كما ان هناك اشعة فوق الحمراء وموجاتها تزيد أطوال موجاتها عن أطوال موجات الاشعة الحمراء • وهي كذلك غير مرئية وتعرف بالاشعة الحرارية لان تأثيراتها الحرارية أكثر من تأثيراتها الكيماوية • وتستغل هذه الاشعة فى الاكتشافات الموجية بالخصوص • ونعرف ان هناك اسلحة حديثة تكشف العدو من غير ان يراه الانسان •

وذلك ان الانسان فيه حرارة تفوق درجتها 36 درجة مثلاً •

وهذه الحرارة تخرج من الانسان فى شكل اشعة ، فى شكل جزيئات دقيقة ، وتنقل لمسافات بعيدة ، والآلة بمجرد ان تصلها هذه الحرارة تشير الى أن الناحية الغلانية تأتى منها الاشعة • ولهذا ، هناك بعض الاسلحة حالياً تكتشف العدو فى الليل الدامس • وخلاصة الحديث ان الاشعة الشمسية الواصلة الى سطح الارض ما هي الا كمية

جامع قرطبة (٨)

والآن وقد حرك الانتعاش روح الاسلام ،
بلمسة الهية قريبة ، لا يمكن ان يصفها لسان ،
ارقبوا اية مياه جديدة ستنفجر من ارض المحيط ،
واية الوان جديدة ستقي سماء الاسلام الزرقاء .

للشاعر محمد اقبال

1877 - 1938

ترجمة

د. سلمى الخضراء الجيوسي

أستاذة في جامعة قسطنطينة

محمد اقبال هو شاعر الباكستان الاول وفي طليعة
شعراء الاسلام ، جمع الى الورع ، رقى الروح ، وتهذيب
العقل ، والثقافة الحديثة الشاملة .

وفي قصيدته الخالدة « جامع قرطبة » التي نظمها
في زيارته الى اسبانيا يتحدث اقبال عن فلسفة العشق
الالهى الذى تنبع منه جميع روائع الخلق والابداع .

(٩) ألقت هذا القصيد في الملتقى الثامن للفكر الاسلامي بمدينة بجاية .

انه شمس جواله ، لا تعد مساكلها ولا تحصي
وهو الانمل الذى يقتطف الاغاني من اوتار الحياة
العشق هو طريق الحياة - العشق هو نار الحياة

☆ ☆ ☆

وانت يا محراب قرطبة تدين بوجودك للعشق
العشق الذى لا يموت ، العشق الغريب عن الزمن عن الامس والغد ،
فاللون والاجر ، والحجر والكلمات ، والموسيقى والغناء
لا يقضيها سوى دم القلب الفائر
نقطة واحدة من دم القلب ويولد للرخام قلب ينبض
ومن دم القلب يتدفق الندف والموسيقى والسرور

☆ ☆ ☆

ان لك يا جامع قرطبة البناء الذى يخلقه الروح ، ولى الشعر الذى يلهب القلب
انت تنادى قلوب الرجال ليجتمعوا امام الله ، وانا افتح قلوبهم
ان صدر الانسان قوى وكبير كقبة السماوات -
ولو كان قبضة من غبار محجوزة فى ذيل السماء الزرقاء
كيف ترى يرقب الله الذى هو النور تعبدنا
لعله يشعر باللذة والحرارة التى تبرىق فى اعطافنا الخاشعة
انظرى آتاه ، الفقير الهندي ، انظر حماسى وحرارتى
وقد ملا التسبيح لله وارسول الله روحى وفهمى
ان صوتى ينطلق بحماسة واخلاص
وقبضاتى تمزق يشوق وحرارة
الله عظيم - وعظمة الله تنبض فى كل عرق من عروقى ، الفنانة

☆ ☆ ☆

انها الجميل فى ظاهرك وفى باطنك ، انك الشاهد بان بانيتك
رجل مثلك جليل ، وجميل الشكل والروح
ان اسسك متينة واعمدتك التى لا عديد لها
تتمخض الى السماء كما تشمخ صفوف النخيل فوق رمال الشام

بنا محراب أرياب الفن ، يا جوهرة الدين المبين
لقد جعلت تراب الاندلس مقدسا كتراب مكة
أه ، هؤلاء العرب الفرسان ، ذوو الاخلاق العظيمة والحكمة الساطعة
لقد مدلت نظراتهم الشرق والغرب
وفى ظلام أوروبا كانت حكمتهم هي نور الطريق
وحتى اليوم نرى الاندلس غنية بمنازلهم
عطوف القلب مرحبة ، بسيطة الوجه مشرقة
وحتى اليوم نرى فى هذه الارض عيوننا كعيون المهى ناعمة الجفون
ترمى لمنازلها نحونا فتفتح سهامها فى قلوبنا راسخة لا تريم
وحتى اليوم يعلق بشيئها بقية من عطر اليمس
وحتى اليوم يعيش فى أغانيها صدى من انغام الحجاز

☆ ☆ ☆

كالسما الجديدة تمتد أرضك تحت النجوم
أه ، لقد مرت أجيال ، وأحسرتاه منذ سمعت ساحاتك الاذان لأخر مرة
أي واد بل أي مرتع جديد وصلت اليه
قافلة العشق الباسلة فى طريقها العاصف
لقد رأت أوروبا عاصفة الاصلاح
تمحو الطرق القديمة اثرا بعد عين
ورأيت فرنسا يعيون جاحظة نار الثورة تشتعل
وتقلب عالما بأكمله هو كل ما عرفه الغرب
وهاهم أبناء روما العظيمة التى شاخت وهى تعبد القديم
انساقوا مع جاذبية التجديد فوجدوا شبابهم مرة أخرى
والآن وقد حرك الانتعاش روح الإسلام
يلمسه الهية غريبة ، لا يمكن أن يصفها لسان
أرقبوا آية مياه جديدة ستفجر من أرض المحيط
وآية السوان جديدة ستغير سماء الاسلام الزرقاء

الى سيدى ابراهيم الغول ، أما سيدى محمد بن مرزوق (وليس ابن عروس كما فكرت
الكاتبة) فهو أحد أجداده الاعلىين . كما أن سيدى المازرى هو جده من قبل الأم لأن
والدة المؤلف هي السيدة خديجة بنت المازرى بن محمد بن يطو (1) *

ثم قالت الكاتبة بعد أسطر قليلة : « وأبوه هو الشيخ المعروف بمحمد بن أبى
القاسم الهاملى ... وقد ترجم له ابنه فى كتابه فقال : سيدى أبى القاسم بن سائب
المنصور الشريف الحسنى ... » وهنا التبتت الأمور على السيدة الباحثة ولم
تنتبه الى ما وقعت فيه من التناقض ، والابتعاد عن الحقيقة ، لأن الشيخ محمد بن أبى
القاسم (2) مؤسس زاوية الهامل هو شخص آخر لا يمت بصلة الى المؤلف وقد أخطأت
الكاتبة فى نسبته أيضاً . والصواب (محمد بن أبى القاسم ابن ربيع بن محمد
ابن عبد الرحيم بن سائب بن المنصور ...) *

أما والد الشيخ الحفناوى فهو (الشيخ بن أبى القاسم بن الصفيير بن محمد
المبارك بن محمد بن أبى القاسم بن محمد بن مرزوق بن محمد بن سيدى ابراهيم
الغول (3) دفين مدينة بوسعادة ابن سيدى ابراهيم السلامى دفين العاصمة وقد
ترجم المؤلف والده فى كتابه (4) *

(2) أشارت الكاتبة فى معرض حديثها عن طريقة المؤلف فى الترجمة الى ابتعاده
عن المنهج العلمى . ويقتضى الانصاف أن نتوقف قليلا عند هذه النقطة ، للاعتبارات
التالية : أن التحقيق فى كتب التراجم مغاير تماما للتحقيق فى الحوادث التاريخية ،
وهو فى الغالب لا يعدو تخطئة قول وتصويب آخر بناء على القرائن والشواهد ، أو
تصحيح ما قد يعثرى الاعلم ، والالقاء ، والانساب من التصحيف والتحريف ، أو
محاولة التوفيق بين الروايات المختلفة للتحقيق فى واقعية بعض الأعمال والمواقف ،
أو لضبط تاريخ الولادة أو الوفاة . وينتهى التحقيق فى معظم الأحوال الى تضمينات
ظنية تعتمد على الاحتمال والترجيح وقلما يتوصل الباحث الى نتائج مؤكدة موثوق بها
الا اذا توفرت لديه الأدلة المادية وهي قليلة فى هذا المجال *

(1) تعريف الخلف ج 2 - ص : 538 - معجم أعلام الجزائر - ص 85 - بيروت 1971

(2) نفس المصدر ص 336 - وانظر ايضا معجم أعلام الجزائر : ص 176 *

(3) تعريف الخلف : ج 2 ، ص 18

(4) نفس المصدر ص 178 *

المثال « الخير المنتشر في حفظ صحة البشر » فكتابته في هذا المجال تعتبر نموذجاً رفيعاً للنثر العلمي الدقيق البليغ . أما ما يوجد في « تعريف الخلف » من سجع فإن المؤلف لا يتحمل وزره ، لأن جله - باستثناء المقدمة - منقول من المصادر التي اعتمد عليها ، لا سيما « نحلة اللبيب » ونشر « أزاهر البستان » وبضع صفحات من كتاب « ديوان الصبابة » لابن أبي حجلة التلمساني ، وأخرى من كتاب « حديقة الافراح » للشرواني * وغيرها *

(4) تضمن المقال أيضاً دعوى عريضة ، فحواها أن الاتجاه السياسي تدخل في اختيار المؤلف للشخصيات المترجم لها ، وإهمال بعضها ، وضربت على ذلك مثلاً بإغفاله ترجمة الشيخ الحداد . والواقع أن هذا تحامل وتسرع في الحكم ، ويجب البحث عن سبب آخر ، أكثر وجاهة وأقرب إلى المعقول *

أن الشيخ الحداد زعيم باحث . إلا أن شهرته العلمية لا توازي شهرته الثورية وبعبارة أوضح أن مكانته الثورية تفوق بكثير مكانته العلمية ** وهذا في نظري سبب وجيه يدعو إلى عدم ذكره في كتاب خاص بذوى الفكر وأرباب القلم ، كما ذكره المؤلف في مقدمة كتابه *

على أن اعتبار الشيخ الحداد من المثقفين قضية فيها نظر ، وكانت محل جدال وخلاف ، وقد أثار هذه القضية الدكتور يحيى بوعزیز على صفحات مجلة « الأصالة » حيث قال ما مؤداه : « فصول ثقافة الشيخ الحداد أو أميته هناك رأيان شائعتان في منطقته ، رأي يؤكد أنه مثقف بدليل أنه خلف بعض التأليف *** ورأي آخر يدعى أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب » ثم يقول بعد ذلك ما نصه : « ورأينا الذي سيبقي قابلاً للنقاش ، هو أن الشيخ الحداد لم يكن أمياً تماماً ، ولم يكن ذا مستوى عال من الثقافة ، بل كان ذا ثقافة متوسطة يعرف القراءة والكتابة (5) » . ولا ينقص هذا شيئاً من قيمة ذلك الثائر العظيم ، فكتب التاريخ كفيلة بتخليد ذكره *

وهذا يؤيد قولنا بأن الشيخ الحفناوي لم يكن مثاثراً باتجاه سياسي معين ، ولو كان كذلك لأهمل ترجمة الثائر الكبير الأمير عبد القادر (6) الذي أهله مكانته العلمية كمفكر وشاعر أن ينتهوا مكانه في « تعريف الخلف » ، وتحلى به صفحاته *

(5) مجلة « الأصالة » العدد 47/46 ، ص 114 *

(6) تعريف الخلف ، ج 2 ، ص 308 *

« انالله وانا اليه راجعون »



على اثر وفاة الشيخ محمد الشاذلي بلقاضي أحد علماء الزيتونة الافذاذ ، وجه السيد مولود قاسم نايت بلقاسم الوزير لدى رئاسة الجمهورية ، المتكلف بالشؤون الدينية ، برقية تعزية الى كل من السيد محمد مزالي وزير التربية القومية التونسية ، والى عائلة الفقيد هذا نصها :

تلقينا ببالغ الاسى والاسف نبا وفاة المفور له الشيخ محمد الشاذلي بلقاضي .

وبهذه المناسبة الالية نتقدم اليكم باخص التعازي ، سائلين الله العلي القدير ان يمينكم على تحمل هذا المصاب اجلل : ويتفهد الفقيد بواسع رحمته ، ويسكنه فسيح جنانه .

رد السيد محمد مزالي

اتصلت ببرقية التعزية التي تفضلتم بتوجيهها الى اثر وفاة الشيخ محمد الشاذلي بلقاضي .

واني اذ اتقدم اليكم باخلص عبارات الشكر ، اسال الله ان يجازيكم عنا خيرا ، ويحفظكم بلطفه .

محمد مزالي

هذا ، وسننشر في العدد القادم نص الكلمات التي أقيمت في الذكرى الاربعينية التي أقامها له المركز الثقافي الاسلامي بالعاصمة .

الى نور العلم والعدل والهدى ، ولقد ترك رسوله خاتم الانبياء وامام المرسلين فينا ما ان اتبعناه فلن نضل أبدا كتاب الله ومنة رسول الله +

ان احسن الحديث كتاب الله ، وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وقد يسره الله للذاكرين ، وجعله الكتاب المبين ، وامرنا بتدبر آياته والاعتماظ بمواعظه التي تضمنتها ، وان نطلب الشفاء - شفاء النفوس - بهديه ، (كتاب انزاله اليك مبارك ليديره آياته وليتذكر أولو الالباب) ، يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين * .

ولقد تدبره اسلافنا ، ودرسوه وفهموه ، واستنبطوا منه المواعظ والاحكام واقاموا الدين والدنيا بشريعة القرآن ، فصلح لهم دينهم واستقامت لهم دنياهم ، وعلى ضوئه بنوا اعظم الدول ، وازهى الحضارات ، وحكموا الناس بالعدل والاحسان ، لان الله يقول فى القرآن : (ان الله يامر بالعدل والاحسان) ، ويقول : (ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) ، فكانوا بالحق خير امة اخرجت للناس ، ثم خلف من بعدهم خلف اضاعوا القرآن ، فلم يتدبروا آياته ، واهملوا الاستنباط منه وطلبوا الهداية فى غيره ، وعطلوا احكامه ، فخرجوا من النور الى الظلمات ، وقد انزل القرآن ليخرجهم من الظلمات الى النور .

ايها المسلمون - ان من الواجب علينا ان نمسك بالقرآن لتتلو آياته وتندبرها ، ونتفهمها ونهتدى ان شاء الله بهديها . فان افضل الذكر ذكر الله بالقرآن ، فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله (ص) قال : « من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر امثالها ، لا اقول الم حرف ، ولكن الف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » رواه الترمذى *

وان افضل الدرامة دراسة القرآن ، فقد صح فى الحديث عن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفنتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » رواه مسلم *

ايها المسلمون ، ان الصلاة عماد الدين ، وركنه المتين وهي الفارق بين الكفر والايمان ، فمن اقامها كان من المسلمين ، ومن تركها كان من الخاسرين ، وانما تصح الصلاة بقراءة القرآن ، وقد صح فى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » ، وفاتحة الكتاب هي سورة (الحمد لله

أما بعد أيها الناس فإن المسلم إذا حمد الله بهذه الصيغة * (الحمد لله) يعلن أنه يوحد الله بحصر الحمد بجميع أنواعه فيه ولا يعترف أن غير الله أهل لحقيقة الحمد لله الذي هو الثناء باللسان على جميل المحمود بصفات الكمال الذاتية كالعلم والقدرة ، والملك ، والعمل ، والغنى، وبالصفات المتعينة إلى غيره كالانتماء والاكرام ، والاحسان ، فالله سبحانه علام العيوب كاشف الكرب وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو، يعلم السر ويخفي، وهو القادر الغني الحميد ، والعالى المجيد ، وهو الكريم ، خلق كل شيء فاحسن خلقه ، يجيب المضطر إذا دعاه ويرحم من فى كل حال ابتداء واستجابة ، فالحمد على حقيقته إنما يكون له وحده والشكر الحقيقي باللسان والقلب والجوارح والاركان ، إنما يكون لله الملك العالم ، فهو (رب العالمين) ، ومالكهم والرب السيد ، والمالك المدبر والمعبود ، والمصلح والجابر والقائم ، وكل ذلك حقيقة فى صفات الله مجاز فى غيره فكلمة (الرب) هكذا بالتعريف اسم من أسماء الله تعالى ، ولا يقال فى غيره إلا بالاضافة ، مثل رب المال ، ورب الدار ، ومنه قول يوسف عن العزيز (إنه ربى أحسن مثواى) ، وقوله (أذكرنى عند ربك) *

فأله سبحانه رب الارباب ، يملك الملك والملوك ، وهو خالق ذلك ورازقه وكل رب سواه غير خالق ولا رازق ليس له ملك بل هو ملك غيره ، طرأ عليه ملكه الذى هو آيل الى غيره منتزع من يديه وما ملك الا يسيراً وان عظم فى عينيه وعيونه غيره ما تصرف فيه ، أما الله سبحانه فهو (رب العالمين) ، والعالمون جمع عالم وهو كل موجود سوى الله سبحانه ، من الجن والانس والملائكة والشياطين ، ومن الحيوانات والنباتات والجمادات فى السماوات والارضين وما بث فيها من دابة ، كل شيء فى الوجود قد خلقه وربّه وملكه وتصرف فيه ، وكل هذه العوالم خاضعة له ، انته طائفة تسبح بحمده ، بلسان الحال ، أو بلسان الحال والمقال : (وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) قسبحان الله ، والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر.

اتقوا الله عباد الله ولتتظر نفس ما قدمت لعد ، اللهم انا نحمدك ونستغفرك ونتوب اليك فاغفر لنا وارحمنا وتب علينا ، وانصر - اللهم - الاسلام والمسلمين ، واخذل اعداءك من الكافرين ، وصلى الله على محمد نبيه ورسوله ، وعلى آله وصحبه ومن سلك منهاجهم الى يوم الدين *

عباد الله ، ان الله يأمر بالعدل والاحسان وابتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون *

تعبك يا ربنا ونستعينك ، لانك محيط بنا وفوق ادراكنا ، تراقبنا حيث كنا ، وانسى اتجهنا ، اننا نخشاك ، فانتك ترانا ولا نراك « لا تدركه الابصار ، وهو يدرك الابصار ، وهو اللطيف الخبير ، قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما انا عليكم بحفيظ » قد حررتنا من العبودية والاستذلال ، وهياتنا لطاعتك حيث السمو والشرف والكمال ، فحسرت العبادة في عظمتك وعلاك ، وحررتنا من الخضوع والخنوع لمسواك ، فحررت الضمير البشرى من الاوهام ، ومن الاساطير وعبادة الاصنام ، ومن فساد الطباع والاطماع ، وسيء الاوضاع ، فعاد الى الله بعد انقطاع يدعوه ويرجوه « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين » ، اي الهمنا الطريق الهادي ، الطريق السليم ، المعبد الواضح المستقيم لا اعوجاج فيه ولا ظلم ولا تائيم ، ولا وسوسة شيطان رجيم ، وارشدنا اليه ووقفنا الى اتباعه . والهداية هي الارشاد الى الخيرات قولا وفعلًا ، وهي من الله تعالى على منازل بعضها يترتب على بعض ، « صراط الذين انعمت عليهم » اي اهدنا طريق الذين كرمتهم بالطاعة ، وحسن العبادة وجزيل المثوبة ، وقلت في حقهم وقولك الحق : « ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما » . « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » ، والمراد بالمغضوب عليهم والضالين : كل من حاد عن جادة الاسلام من أي فرقة ونحلة ، ومن هؤلاء اليهود ، الذين وصفوا بالانكران والجحود ، فقد غضب الله عليهم ولعنهم « ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار » قال اليهود ، قد فسدت اخلاقهم ، وانحرفت ارادتهم ، فعملوا الحق وعدلوا عنه ، وحرفوا الكلم عن مواضعه ، لذلك لعنهم الله « وبساءوا بغضب من الله » وأخص اوصافهم الغضب كما قال تعالى : « من لعنه الله وغضب عليه » ، أما الضلال فهو من أخص اوصاف النصارى كما قال تعالى : « قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سوا السبيل » فتبين من الآية الكريمة غير المغضوب عليهم ولا الضالين « ان الفئتين الضاليتين هم اليهود والنصارى » قال تعالى : « قل هل اتيكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سوا السبيل » ، وقال : « من يضلل الله فلا هادي له ونذرهم في طغيانهم يعمهون » .

اللهم وفق هذه الامة لحفظ كتابها ، وانشره بين ابناءها وبناتها ، فيتعلموه واهداهم سوا السبيل ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

ولعل هذا السر هو الذى جعل الفاتحة تتلى الزاما في الصلوات الخمس سبع عشرة مرة ، فضلا عن النوافل ، الحواقل ، من قيام في أيام الصيام ، لزهاد عباد الفراق للنظام والقيام •

اللهم زدنا علما وفهما ، ومواعظ وحكما ، واعتنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، يا ارحم الراحمين يا رب العالمين ، اللهم اعنا على قيام هذا الدين ، واجعله نورا مشعا في قلوب المؤمنين ، آمين والحمد لله رب العالمين •

عباد الله :

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يملككم لعلكم تذكرون » •

الرقعة في القلب والشفقة والرفقة والحنان مما يبعث على الرفق والعطف والاحسان . فالرحمة بمعناها اللغوي محال على الله وإنما المقصود أثرها وهو الاحسان . والله رؤوف رحيم رفيق . جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله رفيق يحب الرفق في الامر كله ، وانه يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف » . والرحمن أشد مبالغة من الرحيم ، وهو اسم عام في جميع أنواع الرحمة ولجميع الخلق في الدارين ، اذا سئل أعطى ، وكم من مسمى هو اهل للعقاب الشديد أدركته رحمة الله في الشدة . وهو اسم خاص بالله لا يسمى به غيره ولا يوصف به أحد سواه ، وقد أنكرته قريش ، كما قص الله عنهم (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا : وما الرحمن ؟ أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا) والظاهر أن انكارهم إنما كان جحودا وتمنعا وعنادا . فان الرحمن مشتق على صيغة (فعلان) للمبالغة ، وهذه صيغة موجودة في اشعار العرب وكلامهم .

أما الرحيم فانه على صيغة مبالغة من الرحمة والشفقة والرفقة والحنان ، وهو من أسماء الله الحسنى ، أي الشديد الرحمة اذا سئل أعطى ، واذا لم يسأل غضب ، ولكن هذه الصيغة لا تختص بالله وقد وصف بها نبيه في قوله تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) أي أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان حريصا على أن يسلم قومه ويستجيبوا ، عظيم الرفقة والرحمة والشفقة بالمؤمنين ، أحسن لهم من أمهاتهم .

فمن أسماء الله الحسنى ما يجوز أن يوصف به غيره ، ومنها ما لا يجوز أن يسمى أو يوصف به غير الله ومن هذه أسمى الجلالة ، والرحمن ، والرازق ، والخالق ، والرازق يقال عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرزاق أو الرزاق وعبد الخالق . وخير الاسماء ما عبد أو حمد ، وقد عمت رحمة الله الكون وشملته ، ثم خص الله برحمته منه المصطفين من عبادهم فهدهم الى الصراط السوي فسلوكه وآمنوا به وبرزلوه وكانوا من المتقين قال تعالى : (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون) ، ومن يرحمهم الله من رحموا غيرهم فقد جاء في الحديث الصحيح قوله (ص) (الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء) وفي حديث آخر أنه صلى الله عليه وسلم قال : (إنما يرحم الله من عباده الرحماء) . وفي حديث آخر أن رجلا دخل الجنة في كلب عطشان يأكل الثرى من شدة عطشه فرحمه واستخرج له الماء من بئر فسقاه (I) فاتقوا الله عباد الله ، وتعاملوا بالرحمة (I) أصل هذا في الصحيحين ، والموطأ وأبي داود وابن ماجه .

فألله سبحانه هو ملك يوم الدين ، له الحكم وحده ، لا يتكلم أحد فيه الا بأذنه ، وقرئت الآية (ملك يوم الدين) و (مالك يوم الدين) وكلتا القراءتين سبعية متواترة تصح التلاوة والصلاة بها • وكلا الاسمين من أسماء الله الحسنى ، فألله مأخوذ من الملك كما في قوله تعالى : « لئن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار^(١) » وقال : « قل أعوذ برب الناس » ، وقال : « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتزعج^(٢) الملك ممن تشاء » وهذا فعل الملك المالك • ومعنى (ملك يوم الدين) أنه لا يملك أحد معه في ذلك اليوم حكما كملكهم في الدنيا • انه ليوم الفرز الاكبر ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله » •

« يوم يفر المرء من أخيه وأبيه وصاحبته وبنيه ، لكل أمرى يومئذ شأن يغنيه » •

فيأيها الانسان : ماذا أعددت لذلك الزمان والمكان ؟ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا •

اللهم اليك المرجع والمفرج فاننا ذنبون مقصرون ، قد ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ، اللهم أنا نعوذ بك من سوء المنقلب وعذاب النار ، ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار ، ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا ربنا فاعف لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار •

وصل الله وسلم على نبيك ورسولك محمد وعلى جميع الانبياء والمرسلين ، والمؤمنين والمؤمنات الى يوم الدين •

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين •

(١) وفي آية الحشر: هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس .

من أفطر أخذا بالرخصة ومنهم من صام حتى قربوا من مكة فقال لهم : (انكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم) فمن الصائمين من أفطر ومنهم من أصبر على الصيام حتى قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : (انكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا) فكانت عزيمة - كما يقول أبو سعيد رضي الله عنه - فأفطروا كلهم.

وقد استنتج العلماء من قوله صلى الله عليه وسلم - والفطر أقوى لكم - علة للرخصة ، فلم يحصروا جواز الإفطار في السفر للجهاد وإنما أباحوا للمجاهد أن يفطر ولو كان مقيما إذا كان الفطر أقوى له على لقاء العدو . وبذلك أفتى شيخ الإسلام ابن تيمية للعساكر الإسلامية المحاصرة بدمشق من طرف التاتار . وبذلك - أيضا - أفتى علماء الجزائر وعلماء مصر للمجاهدين الجزائريين أثناء حرب التحرير التي نشبت عام 1374 هـ (1954 م) فأفطروا أثناء سنوات الحرب كلها التي دامت سبع سنوات وبضعة أشهر .

« وجوب القضاء عليهم بعد انتهاء القتال »

كل من أفطر في رمضان لرخصة ثم زال عنه العذر المبيح لأفطاره وجب عليه قضاء عدة الايام التي أفطرها ان كان قادرا على الصيام لقوله تعالى : « فمن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » .

فهؤلاء الجنود الذين كانوا في لقاء العدو أثناء حرب التحرير الجزائرية وأدركهم صيام رمضان في سنواتها السبع فأفطروا يجب على كل من بقي بالحياة منهم قضاء صيام عدة الشهور التي أفطروها ولا يغني عنهم شيء آخر بدل الصيام ، بل لابد من صيامهم اياها . فمن صامها عام 1382 هـ أي عام الاستقلال فلا شيء عليه زائدا عن الصيام .

ومن صامها من بعد أن مر على ذلك شهر من شهور الصيام فإن عليه أن يطعم - مع الصيام - مسكينا عن كل يوم يصومه كفارة التأخير .

إن الجهاد في سبيل الله أفضل أعمال المسلم بعد الايمان بالله كما جاء في الحديث الصحيح . والجهاد في سبيل الله هو الجهاد الذي يكون لأعلاء كلمة الله ونصر دينه . وكانت حرب الجزائر جهادا واجبا على كل صغير وكبير ورجل وامرأة من المسلمين لأن العدو هاجمهم في بلادهم . وقد نصر الله هؤلاء المجاهدين وطرد

رئيس المجلس الاعلى

منهجا الميثاق
 ويجوز لهم اجراء احسن ما كانوا يعملون ، وليس احسن من اقامة اركان الدين التي
 فانصروا مدة الاربعة اعوام التي انقضت حتى يكتب الله لهم اجرا كاملا غير متفرق
 ان احسن الناس بشك الله على من الله السنة لهم مؤامرا الخاضعون في سبيل الله ،
 قوله في الحديث القدسي : (كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لي واتا اجزي به) .
 له على صيامه - والصيام ايضا يكون لله - ثواب الله اجزي يجزيه به كما وعد في
 من رمضان للشهر - ودين الله احق ان يقضى - وشك الله على نفسه . وان
 يخرج ثواب الله ويقضى عقابه فان عليه ان يتسلك بدينه ، ومن ذلك ان يصوم ما افطره
 المؤمن بل يقدم يحول الله وقته لا يحولهم وقته . وكل من كان محالفا في جهانه

توضيح حول نشر محاضرات الملتقى

ننشر هذه المحاضرات طبقاً لمبدأ نشر كل محاضرات الملتقى الذى أعلننا عنه فى العدد الاول من « الاصاله » تميمياً للفائدة ، ولطلب الكثير ممن تصلهم المجلة ولا تصلهم كتب الملتقيات .
ولقد قررنا أن ندرج فى كل عدد على الاقل مقالين .

ونرجو أن يكون السادة الاساتذة الذين أرسلوا الينا بمقالات لم تصل بعد الى نشرها وعاتبونا على نشر القديم المتمثل فى هذه المحاضرات من ملتقيات سابقة، وترك الجديد من الانتاج ، قد فهموا الآن قصدنا من هذا .

كما سندرج فى المستقبل فى كل عدد ، بانتظام ، نصاً أو نصين من المحاضرات التى درجت الوزارة على تنظيمها خلال القطر منذ سنوات باسم المركز الثقافى الاسلامى .

الاسلام في الحقيقة ثورة لرد اعتبار الانسان ومكانته الحقيقية بعد أن مرغتها بعض المجتمعات وبعض السُلط التي وجهت عبادة الانسان من السماء الى الأرض ، ولذلك كانت مهمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تهدف توعية الانسان بكيانه وكرامته وتمكينه من ممارسة تلك الكرامة في حياته الواقعية ، وخلال مجالات علاقاته المختلفة تلك حقيقة الرسالة المحمدية ، فالانسان اقترن تكوينه بتكريمه ، ولقد أمر الله الملائكة بالسجود له ، فاستجابت للامر الا ابليس ، وهو مظهر قوى الشر الذي «أبى واستكبر وكان من الكافرين» وخلق الله الانسان في أحسن تقويم وزوده باستعدادات هائلة كالعلم والعلم والاكتشاف اذ علمه الأسماء كلها ، واستخلفه في الأرض لتعميرها بالعدل ، ولكن تعمير الأرض لا يتحقق الا بتحرير الانسان من النوازع التي تمسخ انسانيته وتمزق روابطه وتبعثه على التنافر والتناحر ، لذلك أمر الانسان بأن يعيش متحررا من كل مسا يعرقل مهمته في الحياة ومقتضيات استخلافه في الأرض ولذلك خاطب الله هذا الانسان بقوله تعالى : «واعبدك حتى يأتيك اليقين» وهناك تتحقق كرامة الانسان اذ تتحقق حريته وتحريره أمام الاشياء والاشخاص ، لأن عبوديته المطلقة لله وحده تستلزم تحرره الكامل المطلق في نفس الوقت ، ولهذا لا يمكن أن يقتنع أى واحد بتطرف أولئك الذين يعبدون الله ويخضعون للبشر فيما هو عصيان لله في نفس الوقت ، ولا يمكن أبدا أن نسمى هؤلاء متحررين وانما هم مزدوجون ، والازدواجية هي دائما على حساب عبوديته لله . ولهذا كان أول ما دعى اليه الاسلام ابطال عبادة غير الله من الاشخاص والاقوام والاشياء ، ان في تلك العبادة اتمهانا للعقل وعصيانا لله ، وخرانا بالانسان وسحقا لكرامته وتصويقا لمهمته في الحياة ، ورسالته في هذا الوجود وكان أقسى ما واجهه الرسول صلى الله عليه وسلم مصارعة تلك الصنمية المتغلغلة في النفوس التي لوئت الفطرة وعفنت الحضارة وحددت وجودها واستمرارها وقد تجسدت تلك الصنمية في أرباب الحكم في الفرس والروم وادعياء الدين ولهذا أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم شعاره الخالد : «لا اله الا الله» .

وهنا كان منطلق الدعوة الاسلامية التي دعت أهل الكتاب الى

الديمقراطية عن طريق المجالس النيابية - وسليمان طماوى عنده كتاب نفيس عن ادارة عمر رضى الله عنه - مقارنه بين الاداريّة المعريّة والادارة الحديثة ، وهو كتاب نفيس • يقول فيه :

• • • ولكن تبين بالتجربة بعد ذلك أن قصر دور الشعب على هذا الجانب أى الجانب النيابى يجرّد الحكم الشعبى من روحه ويجعله مجرد أشكال مسرحية ، قد لا تختلف عن الحكم المطلق الا من حيث المظهر ، ومن هنا ارتفعت الصيحة الحثيثة بإفساح مجال أكبر للشعب لكي يشارك مباشرة لا عن طريق نواب يمثلونه فى مجال الحكم والادارة • • • وثارت كتب الفقه السياسى والادارى فى أوروبا تتحدث عن اصطلاحات الديمقراطية المباشرة ، أو الديمقراطية نصفمباشرة مظاهرها المشهورة ، فى استفتاء شعبى واعتراض شعبى ، واقتراح شعبى ، وحق الجماهير فى إنهاء نيابة النواب أو البرلمان أو رئيس الجمهورية قبل ميعادها بل ووصل الامر الى حد الحديث عن ديمقراطية الادارة ، ولكن بالرجوع الى تاريخ عمر نجد أنه أدرك بصدقه والهامه كل المعانى السابقة بل ووصل فيها من حيث التطبيق الى أبعد مما وصلت كثر من الدول التى تفاخر بنظمها السياسية والاداريّة ، والفرق بين ما أخذ به عمر وما تأخذ به الدول العصرية يكمن فى الصياغة لا فى الجوهر ، ولقد أخذت مشاركة المسلمين فى شسؤون الحكم صورا ثلاث :

1 - التعاون فى الوصول الى الحكم ، الى حكم الشرع السليم فى القرآن او السنة •

2 - محاولة كشف الاخطاء الملازمة للحكم •

3 - الوصول الى الحل السليم فيما يجد من امور •

واسلوب الحكم الذى سلكه المجتمع الإسلامى الاول بعد موت رسول الله (ص) أطلق عليه اسم الخلافة التى تتباين ونظام القيصريّة والكسروية التى كانت ذات نظام معاصر لنظام الاسلام ، اذ أن أمر المسلمين شورى بينهم ومبدأ الشورى مقدس فى الاسلام لا يجوز الاعتداء عليه أو تزيفه لان ذلك اعتداء على كرامة الجماعة والافراد فى حقيقة الامر ومحاولة لتزييف ارادة المسلمين والانحراف بأهداف مجتمعهم ، وإن الرسوا ، (ص) لم يشأ أن يتدخل فى ارادة المسلمين

ببعضهم أن يقدم الجزية الى النصارى ، ويقدم هدايا كبيرة جدا ويأتى ملك نصرانى ويهدى قردا لأمر من هؤلاء الأمراء • يهدى له قردا ويقول له انك تساوى عندى هذا القرد •

الاندلس كانت عظيمة ، زُخارف المساجد •• ليتهم ما تركوا لنا المساجد مزخرفة وتركوها لنا بسيطة ، ليتهم ما تركوا لنا هذه الكتب الكثيرة التى نسميها «التاريخ» وتركوا لنا «لا اله الا الله» فى قرطبة • ندرس تاريخ المسلمين نجد من يتفدى بمعاليق من ذهب وفضة وكل لقمة بلمقة ، وتام بعض الوزراء فى كل ليلة فى بيت فى غرفة خاصة على مدار السنة كلها • كل ليلة فى بيت فى غرفة مؤتنة كانه الشمس يتنقل من برج الى برج ، وبجانبه البؤس المدقع ونقابات الشحاذين ودور العهارة والفحش ، ونجد بعض العلماء والصوفية يعقدون مجالس السكر ويقول ابن تيمية فى بعض كتب التاريخ أن بعض القضاة بلعاهم الطويلة يسكر وتذهب به النشوة الى أن يقع هو واخوانه طاهم فى الخمر حتى اذا امتلأت بالخرم ابتدأوا يرشون على بعضهم البعض ، فى حين كرامة الاسلام مهانة ، كرامة المسلم مسحوقه كيف يتمنى لهؤلاء الخير ، كيف يتمنى لهم الخير أبدا لا يتمنى الخير أبدا لهؤلاء ، لا يتمنى لهم الانتصار بل سيكون عوناً عليهم مع الأعداء كما وقع بالفعل فى معركة العرقاء ، وجاء الموحدون الطيبون والمرابطون وأرادوا ••• ولكن الحياتات ••• لماذا لأن كرامة الأندلس كانت مسحوقه ، كما نرى ذلك فى أدب الأندلس ، لم تبق كرامة بل شعرا. يمتدحون ابن عباد لأنه أعطى الجزية ويعتبرون هذا من انتصار الاسلام، لأنه أعطى الجزية عن يد وهو صاغر ، ومجالس اللهو • وكرامة المسلمين وأمانة الله فى علق الحكام أن يعيدوا كرامة المسلمين ينبى أن أراد المسلمون أن يعودوا عمليا الى الاسلام أن يعيدوا كرامة المسلمين وأمانة الله فى عنوان ••• كرام أن يعيدوا كرامة المسلمين للمسلمين ، وأن يشعروهم بأز الدولة دولتهم ، وأن يقتنع المسلمون بأنها دولتهم ، وبهذا استطاع المسلمون خلال التاريخ أن يظهروا هذه العظمة وهذه المعجزات فى المقاومة ، أنا ابن الجبل وأعرف أن ثمانية أشخاص أو عشرة فى قبيلة أنجرة أوقفوا جيشا قوامه 1000 من الأسبان ، انهم فقط عشرة ولكنهم لا يتركون صلاة الفجر ويعتقدون أن هذا واجب ، وليس من ورائهم جيش التموين ، فتويعهم قليلا من

ملكية المال في الاسلام عندما سئل لمن هذه الغنم التي ترعاها ؟ قال : هي لله في يدي ، ولقد ترك للمسلمين وقادتهم المجال للاجتهاد على ضوء الكتاب والسنة فيما يتصل بتطبيق عمل لهذه الفكرة في مختلف الظروف والأزمنة والامكنة ، وقد كان السلف الصالح أكثر فهما وانسجاما لهذا المبدأ الاسلامي بحكم تربيتهن واتصالهم المستمر برسول الله (ص) الذي توفي ولم يخلف شيئا من حطام الدنيا لاهله وأسرته وجعل للامة حق ارثه بأنها أولى بهاله ، وعندما استقرت أحوال المسلمين وتولى عمر خلافة المسلمين أبرز سلوكه وتطبيقاته العبقريّة مبدأ الاسلام في تمكين المسلمين من التصرف في مالهم والاستفادة منه على وجه يحقق لهم كرامتهم ، ويمنع عنهم كل صنوف الاستغلال ، وهنا سأقدم لأساتذتي الشباب الذين تعلمت منهم بعض تراثهم الحقيقي ، عندما قال الربيع بن زياد الحارثي لعمر بن الخطاب : يا امير المؤمنين ان أحق الناس بطعام لين ومركب لين وملبس لين لانت ، فرفع عمر جريدة كانت معه فضرب بها راسه وقال : اما والله ما أردت بها الله ، وما أردت بها الا مقاربتني ، هل تدري ما مثل وما مثل هؤلاء ، قال : وما مثلك ومثلهم ؟ قال : مثل قوم سافروا فدفعوا نفقاتهم الى رجل منهم فقالوا له : انلق علينا ، فهل يحق له ان يستأثر من هذا الشيء . قال : لا يا امير المؤمنين قال : فلكذلك مثل ومثلهم ، انا رجل امير على اموال المسلمين لا يحق لي ان اتصرف في أكثر مما أعطوني وكتب عمر رضى الله عنه لعامل له ، ان أعطى الناس أعطيتهم وأرزاقهم ، فكتب اليه انا قد قلنا وبقي شيء كثير فكتب اليه عمر : انه فيء من الذي آفاه الله سليمان ، ليس هو لعمر ولا لآل عمر ، وفي الرسالة الرائعة التي كتبها سفيان الثوري - هذا هو الفكر الاسلامي الصحيح - رضى الله عنه لهارون الرشيد في شأن عدم شرعية التصرف في بيت مال المسلمين الا على أساس دستور وفق القرآن والسنة دليل على أن المال مال المسلمين ، فقال هارون الرشيد : تعال نمطيك شيئا من المال ، لقد جاءنا علماء وأعطيناهم من المال كذا وكذا ، فرد عليه سفيان الثوري رضى الله عنه ، من قال لك أن هذا المال لك ؟ ان هذا المال مال الله ، وهو للمسلمين ، ومن قال لك أعطيه للعلماء ؟ أبدا ! فان المال مال المسلمين تنفقه حسب كتاب الله ، وان زدت تكون قد خالفت كتاب الله

والأخلاق والتشريع ، ذلك أن الاسلام وحدة لا تقبل التناقض أو التجزئة أو الإخلال بمنصره من عناصره لأن بناءه متكامل متكافئ ، وقيامه لى تلك الوحدة وفى تآزر تلك العناصر الأربعة والسجاسما فيما بينها لتكوين المسلم .

ان الاسلام لا يؤدى دوره الحقيقى الا اذ أخذ كله فى السلوك وفى العلاقات وفى المحاكم ، وفى الادارات ، وفى السياسة الخارجية والداخلية ، ولا نخشى عدوا أبدا (ان تنصروا الله ينصركم) فهناك من يقول لو نقيم الاسلام فالاستعمار سيهجم علينا ، فالحه هو الذى خلق هؤلاء المستعمرين وخلق الأرض والكون فيجب ألا نخشى أحدا ونعلن ديننا ، فنحن لا نريد اعتداء بل نحن نحب الانسانية كلها نحب لها الخير والتقدم ، ونحب لها التعاون والرفاهية ، ولكن أتركونا نعبد الله أحرارا نحن أيضا ، نريد أن نعبد الله ولا نريد أن نعتدى على أحد ، اننا نريد أن نعبد الله ولا نريد أن نعبد أصناما ولا أوثانا نريد أن نقيم شريعة الله فيما بيننا (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم ، والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا يريد الله أن يخلف عنكم وخلق الانسان ضعيفا) صلى الله العظيم .

والسلام عليكم ورحمة الله



الجادة ، ويتطلع الى البطولة النادرة ، اتحدث اليكم واني على يقين
سأجد أذاناً صاغية ونفوساً متمطشة ، وقلوباً مليئة ، بإسلامان
ستخرج من هذا الملتقى وهي تتقد حماساً وتلهب إيماناً ، اتحدث
اليكم أيها النخبة من شبان الجزائر ، وتونس ، والمغرب ، والقطار
العربية والإسلامية ، لنغتنم هذه الهزة القاسية باقتطاع البلاد العربية
وتمزيق أرضها ليتحرك الشعور وتتقد جذوة الايمان ، فهذه الهزة
وان كانت شديدة عاتية ، لكن : جزى الله الشهداء كل خير ، وقد
أحیی الامل في نفسي أن نجتمع في أرض هذا الملتقى الفريد من
نوعه ، فمعرض أن تمقد الملتقيات التي لا نجني منها إلا افلاس أفكارنا
وانحطاط أخلاقنا ، بما لا يتلام والمبادئ الإسلامية وما أكثر تلك
الملتقيات، عوض ذلك يعقد هذا الملتقى الذي يعالج مشكلات أساسية
تهم المسلمين قاطبة ، وكم ملا نفسي سرورا وقلبي حبوراً الكلمة
التي ألفاها سعادة الوزير السيد مولود قاسم وزير التعليم
الاصلي والشؤون الدينية بالجزائر ، حيث رفع الفناع وتناول الاصاله
الإسلامية العربية ، وكيف نحافظ على هذا الكيان الذي لم يضعه
الاسلاف وان عاشوا في جو ملئ بالمخاطر ، ملئ بالتحطيم وكيف
نحافظ على الاسرة ، ان طرق المسؤول مثل وزير التعليم الاصلي
والشؤون الدينية، ووزير الاعلام والثقافة لهذه المواضيع الإسلامية
لبادرة خير ، واسفار عن صبح اصلاح ، وموضوعي هذا لا يتناول الا
مسلكاً واحداً من مسالك اصلاح التفكير والاخلاق على تمدها ، لاني
جئت الى هذا الملتقى ولم أخرج الرأي ، فبمجرد تلقى الدعوة شددت
رحلي لانها فرصة يفرض علينا إيماننا أن نأتيها بدون تزويق ولا
تميق ، حتى نكون من الذين يعملون في سبيل الله **(لا تلهيهم تجارة**
ولا بيع عن ذكر الله) ، فلم يلهنسا والحمد لله شيء وآتت هذا
المسلك الذي سأحدث عنه دون غيره ، لاني مؤمن الايمان الكامل
اننا بدون لا نستطيع أن نصنع شيئاً لاني عرضت التاريخ والحاضر
وبحثت ما حدث لنا في وقتنا الحاضر من تكة ، مستلهما من ذلك
هل استفدنا منه قيماً مضي باستثناء المصور الذهبية كان التفكير
غير مستفيد من ذلك ، او مستفيد بحد ما ، فخشيت ألا نستفيد من
ذلك ، او نستفيد بحد ما ، فخشيت ألا نستفيد من هذه الهزة فقلت
وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين بالتنبيه على ما رأيته سبياً في عدم

[illegible]

والتفكير الاسلامي مشغول عنها ولكنه غير خامد ، وانما هو في اتجاهه الخاص وهو التحلل الذي انتقاد اليه الراى العام لاسباب كثيرة منها تلهيته حتى لا ينطلق وينتقد ، فانغمس في التحلل ، وانساق الى شهواته يرضيها كأنه يبعدها من دون الله ، ويصور جانباً من هذا هجاء أبى نوس لابان بن عبد الحميد الفافقى عن كافر يتمارى بالفكر بالرحمن يريد أن يتصور بالمصبة ، المجانى والهاسجى والمهجو سبيلهما سواء ، وهو التحلل من كل المقومات الاسلامية وحتى العقيدة فى مهب الريح ، يسمح الحكم حين ذاك يمثل هذا التحلل ولكنه ولكنه بالمحصاة لمن يبدى رأيا عاما جديا خشية من اطاحة السلطان فالافواه مكبوتة ، والمقول مغلوطة فى هذه الدائرة ، فبالطبع أن نرى ان الآلام لا يصل عمله كما يجب ، وكان الراى العام اذ ذاك مقصورا على هذه الحالات التى يعيشها ، لذلك لا نجد أن تستطيع الحملات الصليبية أن تتركز فى النقطة التى هى اليوم محل صراع بين المسلمين من جهة وبين الصهاينة ومن وراهم من جهة أخرى . لكن تخلص المسلمون والحمد لله فلم تضيعهم هذه الهزة واضطلع تفكيرهم لا بايقاف الحملات الصليبية فحسب بل استطاعوا دحرها وتطهير القدس وغيرها منها ، فالتفكير الاسلامي صنع العجائب فى دحر هؤلاء المغيرين وذلك أن الراى العام لم يخمد ولم يخمل فراجع الموقف فاستبان له أنه لا يدرك ثاره ولا يقصى الجائر الا اذا تخلص من التحلل ، فحين التفت المسلمون الى دينهم التقى دين التضحية استرجعوا فلسطين وعاد الاسلام من جديد إليها . ولعل مثل ذلك اليوم ليس منا بعيد ، ويرجع اتخاذ هذا الموقف فى العود الى الوطن المسلوب ، الى أن التفكير الاسلامي لا يزال فى حيويته وجديته ، فعلاوة على ما ظهر من ابتكار فى اسلوب الحرب وايجاد وسائل للمقاومة جديدة كان هناك تفكير اسلامي جلوى فى امرين اساسين :

اولاهما : إعادة الروح الجديدة الاسلامية ، لكنها اصطبلت فيما بعد بالتصوف فكانت فى مشربها غير صافية ، والشعر من أبرز مظاهرها ، فبعد شعراء المجون ظهر ابن الفارض واضرابه ، وهذه الروح لو اخذت الصبغة الاسلامية الصرفة لكان فى امكانها أن تاتى بنتيجة اكبر ، فالفكر الاسلامي قد استعاد منهجه الاسلامي ، وخلقه

يا اهل اندلس حثوا مطيكمو * فما المقام بها الا من الفلف
الثوب ينسل من اطرافه وأرى * ثوب الجزيرة منسولا من الوسط
ونحن بين عنو لا يفارقنا * كيف الحياة مع الحيات فى سلف

فنفسية الاندلسيين غير نفسية المسلمين فى الشرق، فالمسلمون
بالشرق كانوا متطلعين لجولة أخرى ، تعنى آثار ذلك الواقع وتسترجع
القدس الشريف كما قال ابن الوردي :

وكيف تنام العين ملء جفونها * على هلوات يقضت كل نائم
فايها بنى الاسلام ان وراكم * وقائع يلحق الذرى بالتماسم
واخوانكم فى الشام يضحى مقلهم * ظهور الملاكى او بطون القشاعم
تسوموهم الروم الهوان وانتم * تجرون ذيل الخلفى فعل المسالم

فستان بين حث المطيى للرحيل ، وبين تنبيه المسلمين بأن
وراءهم وقائع تلحق الذرى بالتماسم ، فحث المطي قد تحقق ولسو
بعد مئات السنين ، وكذلك لم يضى قرن بالنسبة للشرق حتى خاض
المسلمون وقائع أدت بالصليبيين للرحيل ، ومن فضل الله أن كان
الشرق آنذاك سليما فى تفكيره متحفزا رغم ما أصابه من انحلال فى
الاخلاق والتفكير ، فلو ان الحملات الصليبية نجحت فى الشرق
والغرب لكانت الكارثة العظمى لا قدر الله ، وزرع اليأس هو ما
نقأسيه اليوم ، فاننا لا نواجه اسرائيل فى الشرق فحسب ، بل نواجه
من أقصى الغرب من أمريكا حملة أخرى تعزز بها امداداتها ، تريد
زرع اليأس مثل الاندلس من ذلك ما طلعت به بعض الصحف الامريكية
وهى صحيفة «نيويورك تايمز» من ان اسرائيل تملك امكانية انتاج
القنبلة الذرية ، وانها تستطيع ذلك فى سنة او تسعة اشهر ، لكن لا
ينبغى أن نأخذ هذا الخبر على هذا الوجه فحسب ، وهو زرع اليأس
والقنوط ، بل يجب أن نأخذ من جهة أخرى وهو انه الحق اليقين ولا
نقابله آيسين بل يكون ذلك من بواعث حفز الهمم فى الامه العربية
لتلتحق بالركب وترك الفراغات حتى تنتج كذلك قنبلتها وحتى تقابل
الفعل بالفعل والبادى. أظلم ونسأل الله سبحانه أن يكون ذلك عندنا
قريبا .

لكن الحيوية الفكرية فى المسلمين أخذت تضعف شيئا فشيئا
كلما ابتعد المسلمون عن أن يكون لهم رأى عام مفكر فجات همزة

[illegible]

فلو أن عصر الامبراطورية الاسبانية تمكن من شمال افريقيا لالحقها بالاندلس ، وكان جلاء المسلمين منها ، وهذا الفكر الاسلامي الجديد بسبب انحصار مهمته في الفتوح لم يستطع أن ينهض بالامم المنطوية تحت لوائه ، لكن استطاع أن يحافظ عليها بلا افكار نيرة وأخلاق عالية ، لم ينهض التفكير الاسلامي رغم هذه الهزات بل ازداد تدليا حتى جاء الاستعمار والداء منشأه ان السواد من المحكومين يعيشون وقد سلبهم الحكم تفكيرهم وارباب السلطان والنفوذ لا يهمهم الا اشباع رغبة السلطان المطلق احيانا ، وأخرى اشباعهم شهواتهم الاخرى ، ثم جاء الاستعمار فعم الوطن ولم يترك شيئا لم يدخله اما مباشرة واما التواء ، وتقلب بنا تقلبات عدة الى أن جاءت الانتفاضة العامة الصنادية بالاستقلال ، فهزة الاستعمار أحدثت الاستقلال . بعد ان بيننا تسلسل الداء الفكري وكيف أن الهزات لم تحرك الا قليلا أحيانا وان كانت قد حركت في المصور الذهنية او لم تحدث شيئا الى أن جاءت هزت الاستعمار فتحرك العالم الاسلامي بأسره وكان الظفر لها ، فها نحن في فجر الاستقلال فهل تحدث فينا هذه الهزة حركة فكرية جديدة تهزنا أن نعمل للنهوض بالعالم الاسلامي والخروج به مما كان عليه ، فها هي دفة التسيير بأيدينا ، ونستطيع أن نصنع شيئا ، وان كان المفتصب لم يتركنا نبني بناءنا المراد ، قد سلط علينا من هم اشد من المستعمرين وهم الصهاينة المتعششون للدماء والتكالبون على التخريب والحالون بملك اسرائيل على حساب الامة العربية ، فهل اننا اليوم بعد ادراكنا لخطورة الموقف سنكون اقوياء قد اعدنا للجولة القادمة عدتها وتدرعنا لها وتكوننا التكوين الصحيح فكريا وأخلاقيا ، ان الواقع أبان لنا اننا لسنا على اهبة صحيحة ، فتلك النكبة أبانت لنا اننا مفرورون بانفسنا وندعي أكثر مما عندنا ، فبعث ذلك العدو على أن يقضى علينا بين نوبة عين وانتباهتها ، مما يحز في نفوسنا كل لحظة ، لكن لنا الامل بحول الله واعتمادا على استمدادنا الكامل أن لا تعود تلك النكبة ان شاء الله .

فلا بد من انتشارال ولا بد من اصلاح امرين هما عمادا النهضة الاسلامية : **التفكير الاخلاقي** ، وهذا التفكير الذي نريده يتحتم أن يعتمد على القوة ، لهذا منذ أزيد من قرن فكر بعض الرجال المفكرين في عصر تكالب الاستعمار الى أن يبعثوا التفكير الاسلامي الى ادراك

الكافي لتحرر الحكم ، اتضح السبب وظهر العامل المؤدى الى ضعف التفكير والى التبدل الاخلاقى ، اتضح أن هذا من فقدان فكر الراى العام واختفائه من الميدان ، فهل اليوم من سبيل الى بعث الفكر الاسلامى بأن يكون فكرا فى مقدوره أن يجابه الحياة الحاضرة ويقضى على الرواسب المتخلفة عن عصور الانحطاط عصر الاستعمار وما تقدمه من عصور مظلمة ، وهل من سبيل الى تغيير الاخلاق فى المسلمين فانها اخلاق فى اوساط مختلفة لا ترضى أن يبقى عليها المسلم لانها اخلاق لا تمين على التفكير بل تقضى عليه ، من ذلك ما يامل به بعضنا بعضا ، فانه ينحط به الفكر بذلك الخلق لارضاء شخص مما فيه تزيين للباطل ، حتى اخذت الحياة طابعا خاصا وهو طابع حياة مبنية على غير الدعائم الحققة بل على رغبة شخصية تسخر لها كل القوى ، فلا تعمل الا فى فلكتها ، وبذلك تفقد المواهب وتصبح آلات عاملة لتلك الرغبة ، وهذا له تأثيره فى الامم الناهضة ، فى حاضرها وماضيها القريب ، فالامة الالمانية فقدت السياسة فى عصر بصمارك لانه لم يترك لها مجالاً للعمل ، ولذلك رغم التقدم الصناعى لم تستطع ألمانيا أن تصنع شيئا أمام أساطين السياسة ودهانها فلذلك وجدت ألمانيا نفسها فى الحرب العالمية الاولى وحدها وليس معها الا الدولة العلية المهيضة الجناح والنمسا الامبراطورية المفككة من الدول الكبيرة ، بينما كانت كفة الحلفاء واجحة بالامم الى أن دخل من رجح الكفة وأمال الميزان ، كان هذا التأثير فى أمة من أقوى الامم الاوربية فما بالك بالامم الناهضة من كبوة ثم قامت ثم امتدت ولولا حيوية الاسلام لاضمحلت فان التأثير البقصد للمواهب عليها اشد ، فلذلك قلت المواهب ونزرت ، ثم ان تأثيره كان اعم لانه حين اثر فى الغرب كان فى ناحية الافساح المجال فى نواح أخرى ، فآلمانيا سواء فى عصر الامبراطورية او فى عصر الهتليرية نهضتها الصناعية واختراعاتها نابهة ، فلم تغلب الا باختزال مدة الحرب ، فلو امتدت زمنا لاستطاعت ألمانيا أن تربح الحرب بقتيلتها الذرية وصواريخها المجهولة آنذاك ، لكن أين منا تلك النهضة الصناعية ، فعسى الايام تبعث الهمم للوصول الى تلك الغايات وينبئ أكثر مما بنوا ونفعل أكثر مما فعلوا فالانساح للفكر أمر ضرورى للمسلمين وقد أدرك المسلمون ذلك عيانا ، لكنهم سلكوا فى الخروج من هذا مسلكا هو الخطا بعينيه ،

نبتعت لما هو مطلوب منا بعد الاستقلال ، لبعث حركة فكرية و اخلاقية تتكون فيها البلاد الاسلامية اما مستقلة بحق ، فاننا اذا ابتسنا الاسلام على وجهه الصحيح كان بإمكانه أن يوجد شعوبا لهم رجالهم في أخلاقهم وأفكارهم مما ينسبهم حظوظهم النفسية ، فلا يزنون أهواءهم ورغباتهم بمقومات وشعارات انسانية ، بل يكون هدفهم الاسمى هذا العالم الاسلامى المنكوب اليوم باسرائيل ، وليس وجود الذين يذويون في تركين الاسلام بالامر العزيز ، فهؤلاء الصهاينة سخروا مواهبهم ومعارفهم لخدمة القضية الصهيونية ويكفى ما كنا فيه حتى وصلنا الى هذا الحال من الضعف، فقد كان المسلمون في الشرق في الحرب العالمية الاولى مقسمين على انفسهم بين عرب وترك ، وتتقد الشرارة الاولى وينفصل ما بين العرب والترك ، وتنبعث القطيعة ، اذ الصهاينة يبدلون كل ما في وسعهم للانقضاض على الفريسة وينفتح لهم الباب بالوعد المشؤوم .

فلسطين لم تسقط بهذه النكبات بل سقطت من قبل منذ تلك الحقبة ، فحين تفرق المسلمون وطعنوا انفسهم بانفسهم ومكنوا الانجليز من أرضهم مكنوا عدوهم منهم ، مكن الله منا ، ويكفى أن يكون هذا درسا لرجالنا ، حتى نقر في انفسنا الحرية الاسلامية التي تنتج افكارا قادمة تصل في شتى الميادين ، فانه لا يمكن أن تنقذ الافكار وهي مفلولة مشلولة منقادة بزمام كاتقياد الحيوان ، وما عرفه لنا التاريخ ان الهزيمة انما تكون اذا كان المدافعون غير مقتنعين بوضعهم لعدم جولان افكارهم فهم في موقف حيرة يبعث في نفوسهم لبلبلة فتخمد افكارهم وتجمد نفوسهم ، وهذا ما راينا في صدر الاسلام حيث لم تثبت امة كثيرة امام تفتح الدعوة للتقابل بين الحرية والاغلال ، فالغل لا بد أن يضمحل ، لم اتصور أن من يحمل العقيدة الاسلامية بحق تسبخ له نفسه أن يخالف ما ساس به النبي (ص) المسلمين ، فانه والوحي يرافقه ويسدده ما كان ليستبسد برأى على المسلمين ، ففي مواطن الخطر التي تداس فيها الحريات كان الاسلام يفتح صدره للفكر ، ولذا ذكر مثلا من ذلك في غزوة بدر والعدو متفوق لم يخض صلوات الله عليه المعركة الا بعد أن تبادل معهم الراى في احدى العطاقتين ، وحين حولهم عن رأيهم جعلهم

الحرية المنطوية على الخبائث التي تبيع للفتيان والفتيات اطلاق العنان في ارضاء الشهوات ، وهو ما ترى بعضه يمثل في ارقصنا السانحون والسانحات من المستخثين والمبتذلات جميع الرذائل وما هم السانحون وما هم الذين قال الله فيهم : « **العاملون السانحون** » ولا في السانحات الذين قال الله فيهم : « **عابدات سائحات** » ، اننا نريد الحرية الاسلامية النقية البناء التي اشادت هذا الدين ، وأبقت واسخا في الارض ثابت الاوتاد أين منه ارم ذات العباد ، تريدها الحرية الاسلامية الباعثة في النفوس روح الحماس المتقد ، تريدها الحرية الاسلامية التي قاد بها محمد (ص) الامة العربية المخرج للناس من الظلمات الى النور ، ومن العسر والاعلال الى فسيح الجمال ، الى الحياة السالمة ، والاضواء الباعثة على التفكير الممتاز، التفكير الذي لا يعرف الانتماء ولا الرجوع الذي لا يقف في وجهه شيء ، الا تخطئه وحطه ، التفكير الذي لا يعرف الا الثبات على المبدأ كما قال النبي (ص) : « **والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته** » ، هذا التفكير الذي نبغيه لناثنتنا ولا نفسنا فلو وضعوا الشمس في أيمننا والقمر في ايسارنا لتراجع لم نتراجع ، ولو ملكنا الافلاك هذا التفكير الذي نبغيه لناثنتنا الذي اذا اعترضتها العقبات وقفت وجهها السدود تغلبت بالفكر السديد والرأي الرشيد واتخاذ الحلول الفعالة عند الابان مفعورة على اخلاق العزيمة منقاة من الخور والهلع الذي لاتجزع وان تالبت الدنيا عليها فلها من عزيمتها الحديدية ما يذل لها الصعاب ، ويمشي بها قدما بين الاشواك ، اذا كنا على هذا التفكير وبهذه الاخلاق لا يد ولا محالة أن نقضي على العقبات ونجتاز السدود ونخرق الفولاذ توصلا وبلوغا لتحرير فلسطين مثنى النبيين، ومعراج الرسول صلوات الله عليه وسلامه ، وموطى. عمر بن الخطاب وفتح صلاح الدين ، ان هذا الداء النافر في قلب العروبة لا تتركه طويلا ان شاء الله ولا نقول له دعة ووداعا ولكن الى اللقاء .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

١٩٧٠ - ١٩٧١
١٩٧٠ - ١٩٧١

וְאֵלֶּיךָ יְהוָה אֱלֹהֵינוּ וְעַתָּה הִנֵּנוּ בְּפָנֶיךָ
וְאַתָּה יְהוָה מֵחֵן לָנוּ וְרַחֲמֵינוּ כִּי אֵין עֲשׂוֹת
בְּפָנֶיךָ וְכִי אֵין חֶסֶד וְרַחֲמִים בְּפָנֶיךָ

[illegible][illegible]

১৯৮৬ সালের ১৫ জানুয়ারি : ১৯৮৬ সালের ১৫ জানুয়ারি :

[illegible]

لئے کیا؟

[illegible]

بعض مسائل أصولية • أما كلكم سمعتم وقرأتم في مدارسكم وماعدكم أن المجتمعات في العالم كله قائمة ومكونة على أساس ميثاق اجتماعي • ولكن العلم اليوم بين لنا أن هذا الميثاق الاجتماعي ما هو الا خرافة من الخرافات التي اخترعها فيما أضن جان جاك روسو وقرروها من بعده وكرروها تكرارا الى يومنا هذا •

وفي الحقيقة ما تكون أي مجتمع في العالم على أساس ميثاق اجتماعي بل تكونت هذه المجتمعات على أساس ارتفاع القوى على الضعيف • كان اصحاب القبائل الاقوياء منهم يستولون على الضعفاء • وتكونت تدريجيا حكومة قبلية في الاول ، بعد ذلك يثور الضعفاء على الحكام ، واذا حصل لهم التوفيق تقلبت الاحوال وصار الضعفاء حكاما والحكام ضعفاء وتكررت هذه المسألة في تاريخ العالم • ولكنني قد اشرت ضمننا الى استثناء : أنه يوجد في تاريخ العالم مجتمع كان قائما ومتفقا على ميثاق اجتماعي ، وهذا المجتمع هو مجتمع الامة الاسلامية •

كانت العرب في دور من الادوار التاريخية كما تعرفون تعيش في قبائل شتى ، ليست لهم دولة الا في ازمة غابرة قد نسوها وزالت من شعورهم • وفي يوم من الايام قام في وسطهم رجل وقال : اني بشر ليس عندي معرفة الغيب، ولا سلطة على السماوات ولكن اختارني الله خالق الكون رسولا الى كافة الناس • وامرني أن ادعو الناس الى اتباع القوانين والشرائع التي أنزلها الله من السماء على قلبي ولساني، فمن اختار اتباع الله فليتبعني • هذه خلاصة دعوة الرسول صل الله عليه وسلم ، وما كانت في يده قوة ولا سلطة مادية ، والناس الذين انضموا اليه ما انضموا تحت أي خطر أو ضغط ، بل بحرية نيتهم واخلاصهم لما فهموا منه ان هذه الدعوة صادقة • وهذا هو الميثاق الاجتماعي الوحيد الذي وائنه في تاريخ الانسان ، والذي هو اليوم في خطر الفناء •

لقد رأينا أن كثيرا من الدول الاسلامية المستعمرة أصبحت مستقلة ، وربما يظن بعض الناس أن في هذا الاستقلال اشارة الى مستقبل الاسلام ولكنه ليس كذلك • رأينا في كثير من هذه الدول المستقلة ان الناس يفرون من الاسلام يبدلون الاحكام الشرعية

والاجتماعية التي سادت عصره ، ولذلك لا يمكن أن تكون تلك الاستنباطات ونتائج اجتهاد الاشخاص ملزمة على كل المسلمين في كل عصر ، وذلك عكس الاحكام المنصوصة في القرآن والسنة ، تلك الاحكام الخالدة الثابتة التي تلزم كل مسلم في كل العصور والازمنة ، وكان تحديد الاستنباط الذاتي مفهوما عند اكابر فقهاءنا في الازمان السابقة ، وكلكم تعرفون ان الامام ابا حنيفة مثلا والامام الشافعي قالا : « اذا وجدتم شيئا في كلامي يعارض سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتركوه ، واما ما يوافق الحديث والسنة فهو مذهبي » ، هذا القول منقول عن الامام ابي حنيفة وعن الامام الشافعي ايضا ، ومن المعلوم ان الامام مالكا قدس الله روحه رفض وضع كتابه «الموطاء» كقانون للدولة العباسية على أساس هذا الاسراف في تحديد الاستنباط الذاتي ، وما استهدف اكابر الفقهاء باجتهادهم أكثر من أن يتيسر تطبيق مبادئ شرعية منصوصة في القرآن والسنة على «ساعي وأحوال قانونية خاصة في أزمانهم ، ولكن يمرور الزمن اكتسب اجتهادهم في نظر معظم أتباعهم درجة مقدسة ، حتى أصبحت نتائج استنباطهم واجتهادهم في نظر كثير من المسلمين جزءا لا يتجزأ من الشريعة نفسها واكتفى هؤلاء المتبعين بتقليد أعمى لفقهاء علمائنا المتقدمين ، وقد ذكرنا أنفا أن كل الاستنباطات والاجتهاد الفقهي متأثر بالاهواء الثقافية والاجتماعية التي سادت في عصر المستنبط ولما كانت تلك الاحوال تختلف كثيرا عن الاحوال التي نعيش فيها في عصرنا هذا ، باتت هذه الاستنباطات الفقهية المذكورة تختلف بطبيعة الحال عن الاستنباطات التي نستطيع الوصول اليها في عصرنا الحاضر، وان هذا من أهم الأسباب في تردد كثير من شبابنا في استخدام الاحكام الشرعية في تفكيره العلمي والاجتماعي ، وقد ذكرنا ان الشريعة الاسلامية هي الدستور الخالد لحياة الامة الاسلامية وانه لا وجود للمجتمع الاسلامي بدون ان تطبق احكام الشريعة على تكوينه الثقافي والاقتصادي * شيء ثان أنه لا يمكن لنا من هذا التفكير ما نستطيع أن نطبق به هذه الاحكام الا عن طريق المعرفة العامة المباشرة لتلك الاحكام من قبل كل مسلم مثقف ، وكيف نحل هذه المشكلة ؟ فاننا نجد جوابا لمشكلاتنا بوضوح في القرآن المجيد «يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم» في تفسير هذه الآية الكريمة ذكر السيد رشيد رضا صاحب تفسير المنار

الممكن أن يقال اعتراضاً لهذه النظرية «الظاهرية» أن الأوامر والنواهي الواضحة المنصوص عليها في القرآن والسنة لا تكفي وحدها للاحاطة بكل ما استحدثت من الأحوال القانونية التي تحتاج الأمة إلى حلها لهذا فإن توضيح نصوص القرآن والسنة بواسطة الاستنباط والقياس أمر لا مفر منه ، ولا مجال لغير هذا ، وليس لأي أحد من اعترض على العمل الفقهي بالاستنباط والقياس وكل نوع آخر من الاجتهاد . أما الذين ارتابوا فمن اللازم أن نعارضهم ، وصحيح أن نخالف تلك النتائج الفكرية الانسانية في دائرة الشريعة الالهية نفسها ، أي لا نقبل اجتهاد أي شخص بدل أو دون سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، فحديثه يعتبر جزءاً لا يتجزأ من الشريعة الخالدة التي هي الدستور العلمي للأمة الاسلامية في كل عصر وزمان .

نعم الأوامر والنواهي المنصوص عليها في القرآن والاحاديث النبوية لا تقي بكل ما يطرا من المسائل القانونية بالتفصيل ، ولكن لم يكن ذلك نتيجة قصور من الشارع نعوذ بالله من ذلك ، بل على العكس من ذلك . لكي لا تبقى الأمة في الجمود الفكري والفقهي والاجتماعي فصوب كل الاعمال القانونية مع مقاصد الشريعة الخالدة نفسها إلى اجتهاد المسلمين ، شرط ألا يعتبروا مسائل اجتهادهم أكثر من عمل اضافي للشريعة الحقيقية التي لا تغير لها ولا تبديل ما دامت حياة الانسان في هذه الارض ، لأن حالة صفة لشريعة هي كونها منزلة من عند الله على قلب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، وإن أهم صفات كل التفكير الانساني انه كله متأثر بالثقافة والبيئة التي يعيش فيها صاحبها ومن كيفية العلم الذي اختبره وأحاط عليه في عصره وإذا فهمنا هذا وفهمنا أن الشريعة الاسلامية الاصيلية لم يقصد لها أن تعتمد على الاجتهاد الاستنباطي أو القياس من قبل أحد ، فنقول نعم أن اجتهاد وقتنا واجتهاد من سبقنا من أكابر المفكرين المسلمين ، لا يمكن أن نعتبره جزءاً من الشريعة نفسها التي وجدناها في نصوص القرآن والسنة ، تلك الأوامر والنواهي قد عبر عنها الشارع بصيغة احكام جازمة ، اقل هذا لا تفعل هذا ، هذا خير فأتوه هذا شر فدعوه . تلك الاحكام الواضحة في طبيعة نفسها لا يلمسها غموض ولا ابهام . وإذا اتفقنا على هذا التعبير للشريعة الاسلامية سيفتح لنا مجال واسع لتقنين أي قوانين اضافية تحتاج الأمة الاسلامية إليها ، القوانين التي

2°) Religion (ou Foi) et Science : (par rapport à telle ou telle religion, ou confession, ou à la religion en tant que telle. Les Livres Saints — et tout particulièrement le Coran — et la science. Science et religion (ou foi) — n'importe quelle religion ou foi — sont-elles conciliables ? Est-il vrai que la religion n'est plus de **notre siècle** ? L'hypocrite exploitant la religion à des fins politiques, économiques ou sociales. L'athée par conviction, par ignorance ou par complexe, prétendant tous que la religion n'est plus de notre siècle, à tel point que des semi-analphabètes se vantent de ne plus croire... pour que l'on disc d'eux... La religion est-elle guide ou garde-fou pour l'individu et la société ou, tout au contraire, une drogue ? Ou ni l'un ni l'autre ? Qu'est-elle alors ?)

3°) Crise de la famille à travers le monde : (Où va la famille, de par des crises et appels que l'on entend et les comportements que l'on observe dans le monde ? Où veut-on en venir ? Quel sort lui voue-t-on ? Est-elle un système qui doit disparaître dans les meilleurs délais ? Ou à laisser mourir sa mort... plus ou moins rapide, en laissant faire... ou en l'y poussant un peu plus ? Ou, tout au contraire, faut-il tout faire pour la sauvegarder, voire la renforcer ? Et comment ?)

4°) Naissance du système universitaire dans le monde et son évolution : (Naissance de l'Université en tant que noyau du système universitaire dans le sens moderne. Rôle de la civilisation islamique dans cette naissance et dans ce développement ; diverses réformes universitaires dans le passé et surtout en cours dans le monde. Leur sens et efficacité, ou leur non-sens et négativité ; effets sur la jeunesse et la société).

5°) Les relations entre l'Algérie et le reste du monde avant 1962 : (A travers l'Histoire, ancienne et moderne, et tout particulièrement depuis le début de l'ère moderne : avec Carthage, Rome, avec les autres pays du Maghrib, de l'Andalousie, des autres pays islamiques, du Califat ottoman, de l'Afrique, de la France, de l'Espagne, de l'ensemble de l'Europe, des Etats-Unis d'Amérique, de l'Asie et du reste du monde, dans tous les domaines. Permanence de sa personnalité et continuité de son Histoire, malgré les vicissitudes de l'Histoire).

C O M M U N I Q U E

XII^e Séminaire sur la Pensée Islamique

Le Ministère des Affaires Religieuses organise à Batna, capitale des Aurès, du 04 au 11 chawal 1398 (07 - 14 septembre 1978) le XII^e Séminaire sur la Pensée Islamique, à l'intention des étudiants (d'Université) aussi bien d'Algérie que d'ailleurs.

Des professeurs (d'Université) et chercheurs du monde musulman et d'ailleurs sont invités.

Les frais de séjour et de déplacement, à l'intérieur du territoire national, dans le cadre du Séminaire, seront pris en charge par le Ministère. Une contribution symbolique de cinquante diners algériens sera demandée aux participants. En sont dispensés ceux venant de l'extérieur du pays ou résidant à Batna.

Les candidats devront joindre à leur demande un certificat de scolarité ainsi qu'un certificat médical et une enveloppe (16 x 21) timbrée portant leur adresse.

Les demandes de participation doivent être adressées au Ministère des Affaires Religieuses, Direction de la Recherche Islamique et des Séminaires, Sous-Direction des Séminaires, 4, rue Timgad - Hydra - Alger.

En prenant soin de préciser sur un coin de l'enveloppe la mention : " SEMINAIRE ".

Le dernier délai d'envoi des demandes de participation sera le 24 djoumada II 1398 (31 mai 1978), le cachet de la poste faisant foi.

L'ordre du jour sera comme suit :

1^o Aurès ; hauts faits et hauts lieux : (à travers l'Histoire, dans la région des Aurès : grands jours et moins grands... Les grands événements, champs de leur déroulement, causes et effets, traces et vestiges. Les mesures prises, ou à prendre, pour faire « ressortir » et préserver ces derniers).

